





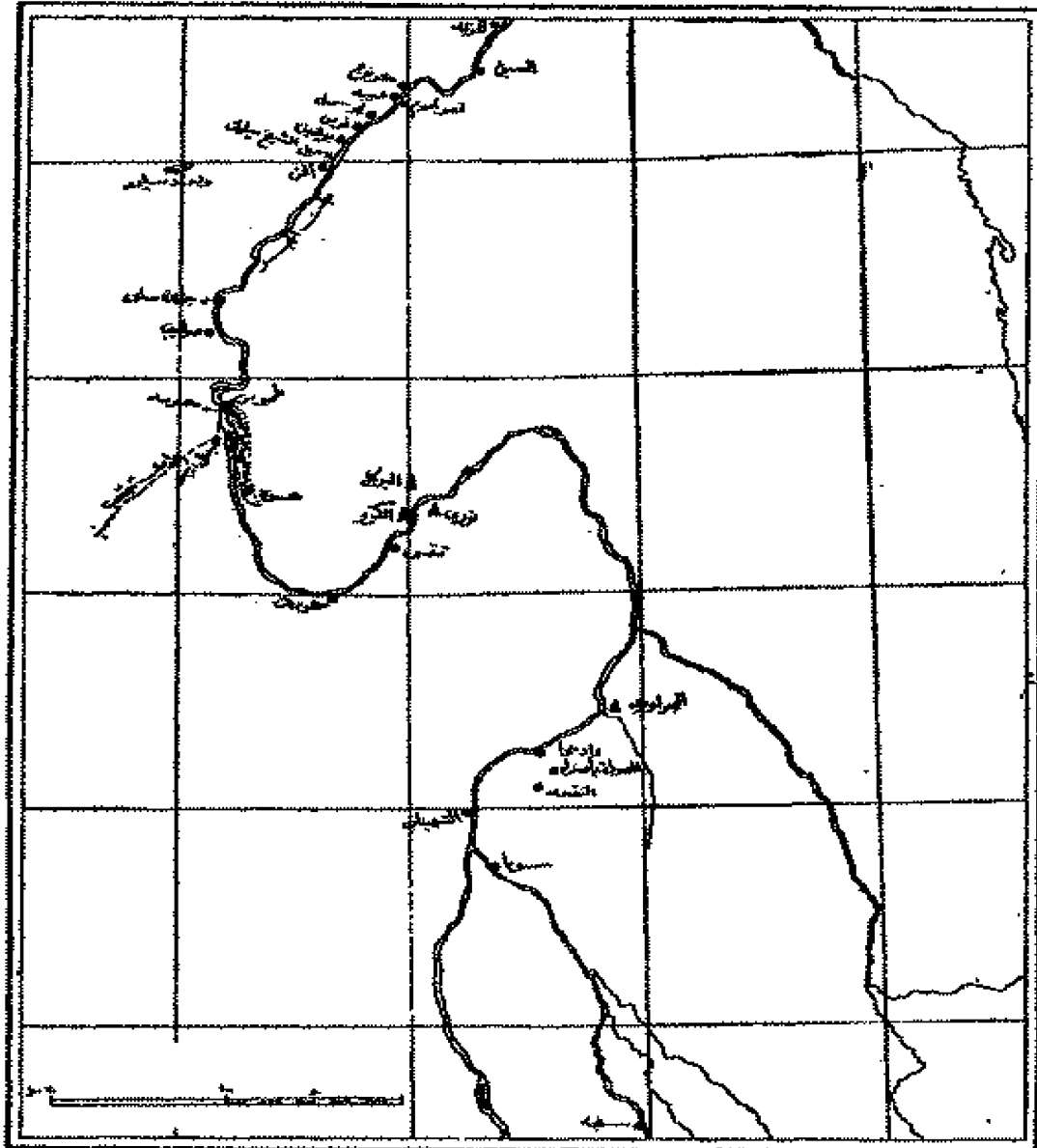


المدخل
إلى
تاريخ السودان القديم

تأليف
دكتور محمد إبراهيم بكر
مدرس التاريخ القديم بجامعة القاهرة
فرع الخرطوم



التيل السليم — شربان الحياة



المواقع الأثرية في السودان القديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصير

أخذت الآثار السودانية في المدة الأخيرة تجتذب اهتماماً متزايداً وبخاصة أتر الحلة الدولية لا تقاذ آثار للنوبة من مياه السد العالي ، ثم إمتد نشاط بعثات التنقيب عن الآثار إلى مناطق السودان المختلفة ، وفتحت الأعين على ثروة أثرية هائلة ، وبدأت تتضح قيمة تاريخ السودان من خلال آثاره القديمة ، وقيمة الدور الذي لعبه السودان في تاريخ الوادي ومساهم به في الدراما الإنسانية في العالم القديم .

ولو تصفحننا ما كتب عن تاريخ السودان القديم ، نلاحظ إغفالا يكاد يكون تاماً للمعصور القديمة التي مر بها تاريخ السودان — وهي المدة التي تنهى بفتوحات الإسكندر الأكبر في الشرق .

ومنذ عام ١٩٥٧ عكفت على دراسة آثار السودان وحضارتها القديمة أئناء دراسي بالقاهرة وألمانيا ، كما أتاحت لي فترة إقامتي في السودان ، منذ عام ١٩٦٤ محاضراً للتاريخ القديم بفرع جامعة القاهرة بالخرطوم فرصة دراسة تلك الآثار عن كثب ، والاتصال برجال الآثار السودانيين . وكانت حصيلة ذلك نشر بعض الأبحاث العلمية في هذا المجال .

وسيراً على نفس النهج ، ومساهمة في ملء بعض الفراغ بالنسبة لكل دارس أو مهتم بمعرفة تاريخ السودان القديم ، وتقديراً للدور الذي تقوم به جمهورية السودان في المحيط العالمي ، أتقدم بهذا البحث الذي أحاول بواسطته أن ألقى ضوءاً على الأساس الحضاري الذي قامت عليه حضارات السودان القديم ، وغايتي القرب من الحقيقة ، ووسيلتي إليها أسلوب علمي بعيد عن الهوى بقدر ما تسمح به النفس البشرية .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور أحمد بدوي
الذي غرس فينا حب الآثار والتاريخ القديم . وإلى أستاذي المرحوم
هيرمان كبس ، وإلى أستاذي فرز هتزا في برلين — وهو الذي وجهني
وجهة الدراسات السودانية القديمة ، وإلى الزملاء الكرام بمصلحتي الآثار
السودانية والمصرية ، وإلى زملائي بجامعة القاهرة ، وإلى كل من ساعد
في إخراج هذا البحث .

محمد إبراهيم بكر

مقدمة

في مطلع حديثنا عن التاريخ الحضارى للسودان في العصور القديمة لاجدال في أن الاتفاق على التسميات المناسبة هو المفتاح المناسب للدخول في هذا الموضوع الذى يتناول التاريخ الوطنى للسودان في فترة من أهم الفترات لجزء عزيز من وادى النيل العريق .

فالمطقة التى ازدهرت في أرجائها حضارة السودان القديم قد حلت خلال تاريخها الطويل عدة تسميات وقامت في مناطقها التسيحة دويلات ودول مختلفة ، وتوالت عليها هجرات عديدة في فترات متعاقبة من التاريخ غيرت إلى حد ما من طبيعة سكانها . كما كانت منطقة النوبة بموقعها الجغرافى القريب معبراً للعقائد والأفكار التى تصارعت فيها تطلعت دراما قلبا توجد على أية بقعة من بقاع العالم ، أخرجها التاريخ على مسرح البلاد ونبودلت فيها الأدوار ، كما اشترك أهل البلاد اشتركا فليا في تشكيل ملامح تاريخهم فأتروا في الأحداث وتأثروا بها وأفسحوا لأيامهم مكاناً رحباً في سجل تاريخ الامم ذات الحضارة العريقة .

فاذا ما تصفحننا المؤلفات التى كتبت عن تاريخ السودان القديم تأملتنا اصطلاحات وأسماء غير محددة تحتمل أكثر من معنى ، ثم أنها لا تنطبق تماماً على التسميات :

مثلا : اسم النوبة نجده يطلق على المنطقة الواقعة جنوبي الحدود السياسية للجمهورية العربية المتحدة بلا تحديد واضح ، مع العلم أن الحدود السياسية لا تتفق مع التوزيع التكنولوجى للمنطقة ، ثم أن هذا الاسم نفسه ينقسم بدوره إلى قسمين :

- ١ — النوبة السفلى : ويطلق على المنطقة التى تمتد تقريبا من الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة حتى منطقة الشلال الثانى على النيل .
- ٢ — النوبة العليا : وهى تمتد إلى الجنوب من الشلال الثانى حتى دنقلة وربما إلى أبعد من ذلك جنوبا .

وسكان المنطقة المذكورة الذين تعودنا أن نسميهم النوبيين ، لا تنطبق هذه التسمية عليهم إلا منذ القرن الثالث الميلادى أى بعد وصول هجرات النوبيين واستيطانهم بالمنطقة .

وفي العالم القديم أطلق على الجزء الشمالى للمنطقة اسم واوات ، والجزء الجنوبى حل اسم كوش ثم طغى اسم كوش فأضحى علما على المنطقة كلها بما فى ذلك النوبة وشمال السودان . وهكذا ظهر اسم كوش فى وثائق العالم القديم المصرية منها والآشورية والاثيوبية . ويبنى ألا يغيب عن أذهاننا أن اصطلاح كوشى وكوشية إنما يطلق أيضا على مجموعة اللغات والشعوب السائدة حاليا بأثيوبيا .

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن الكثير من المؤرخين جانبهم الصواب حين أطلقوا على البيت الحاكم الذى قام وازدهرت حضارة البلاد فى عهده فى نفس المنطقة خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد اسم الاثيوبيين ، أولئك الملوك الذين دخلوا مصر أيام عصرها المتأخر واعتبروا مؤسسين للأسرة الخامسة والعشرين فيها ، ونقول جانبهم الصواب لأن لفظ إثيوبيا أو الاثيوبيين إنما هى التسمية الرسمية الحالية للجنبة وشعبها ، والأصل فيها أن كلمة Aithiops الإغريقية ومعناها ذو الوجه الأسود ، إنما قصد بها الإغريق كل الشعوب توات البشرة السوداء بلا تحديد ، تماما كما حدث بالنسبة للمصادر العربية القديمة فيما بعد حين أطلقت اسم السودان والسودانيين على كل المناطق والشعوب الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى وذلك فى القرون الوسطى .

ومن أجل كل ذلك ، ومن أجل تبسيط الأمور سوف نحاول أن نجعل اسم السودان والسودانيين يحل محل أغلب التسميات التى أطلقت على المنطقة وعلى أهلها . ومع الأخذ فى الاعتبار أن المنطقة كغيرها من المناطق ذوات الحضارات القديمة عامة ، لم تسلم من الهجرات العديدة التى تسببت بدرجة أو بأخرى فى تغيير عناصر سكانها . ومع العلم أن إطار بحثنا لن يتخطى

التواحي التاريخية والحضارية تاركاً الناحية البشرية للمختصين في دراستها .

وليس سراً أن محاولتنا في هذا المضمار لا تعدو أن تكون طلعة استكشافية رائدة لرسم صورة تقرب من الحقيقة لطبيعة الأحداث ونوع الحضارات التي توالى على منطقة النوبة وشمال السودان في العهود القديمة ، تماماً كما نحدد الصور الجوية لبعض المناطق الأثرية المخطوط العامة للمدن والمعابر القديمة والتي يصدر رؤيتها أحياناً عن كشف لسكنى عهد الطريق لبعثات الحفر والتنقيب عن تلك الحضارات الفائرة .

ولا يغيب عن الأذهان ما لهذه الدراسة من أهمية بالنسبة للتاريخ الوطني لدولة السودان .

ولسوف لا نخرج في بحثنا عن الإطار الذي حددناه بالفترة ما بين ظهور الحضارات الحجرية وزمن الأسرة الخامسة والعشرين السودانية التي حكمت وادى النيل قرابة قرناً من الزمان كان السودان خلالها يمثل قوة طالبة معترف بها (٧٥٠ — ٦٥٤ ق م) .

أوائل الباحثين :

١ — James Bruce : كان أول الرحالة المحدثين ، استطاع أن يعرف على حدود جزيرة صروي القديمة تلك التي يحددها نهر العظيرة والنيل الأزرق والنيل الرئيسي وذلك في خريف عام ١٧٧٢ ، وذكر أنه شاهد هناك آثاراً قديمة كتلك التي رآها في أكسوم ومرواد بنجا . Wad Ban Naga حيث شاهد آثار معابد قديمة : Travels to discover the source of the Nile, 6 vols. -Edinburgh 1790

٢ — John Lewis Burckhardt : هو ثاني كبار الرحالة الأوروبيين في العصر الحديث سافر من الدامر إلى شندى في أبريل عام ١٨١٤ وذكر أنه شاهد آثاراً على هيئة تلال من الأحجار والطوب الأحمر وأساسات أبلية ،

ولكنه لم يمكن من مشاهدتها عن قرب ، ولقد شبهها بآثار مدينة طيبة المصرية وعند عودته من شندى شاهد آثاراً بالقرب من قرية Hasna وعند كبوشية ترك بورخارد النهر وبذلك ضاعت منه الفرصة لزيارة أهرام مروى . وأصدر كتاباً بعنوان : Travels in Nubia, London 1822.

٣ — Frédéric Cailliand : ولد في Nantes بفرنسا عام ١٧٨٧ وتوفي عام ١٨٦٩ ، يعتبر مؤسس الآثار السودانية على الإطلاق ، حضر إلى مصر عام ١٨١٥ ودخل في خدمة محمد علي باشا الذي أرسله إلى البحر الأحمر والواحات في رحلات استكشافية ، وفي عام ١٨٢٠ سمح له الباشا بأن يصحب الجيش المصري إلى السودان والواقع أن اكتشافاته قد تمت وهو مرافق لتلك الحملة ، وبعبء عاد إلى فرنسا حيث نشر كتابه « رحلة إلى مروى » Voyage à Meroë عام ١٨٢٦ وظل في مدينته القديمة حيث عمل أميناً لمتحفها إلى أن توفي عام ١٨٦٩ . ففي أبريل عام ١٨٢١ وصل إلى بربر وبعد أن أغرى الباشا بإمكانية العثور على الذهب أو الأحجار الكريمة أذن له في زيارة أهرام مروى ومكث هناك أربعة عشر يوماً استطاع خلالها أن يرسم آثار المدينة وأهراماتها . وزار سوبا حيث عثر على تماثيل لإحدى السكباش ، وفي طريق عودته زار وسجل آثار واد بنجا Wad Ben Naga في مارس ١٨٢٢ ، كما شاهد آثار معابد عديدة في النقة وسجلها . وبعد ذلك اكتشف آثار « المصورات » وفي طريق عودته إلى شندى عثر على معبد صغير في « وادي البنات » إلى الشمال من شندى ثم وصل إلى هسا Hasna الذي وصل إليها بورخارد من قبل ، وعثر هناك على بقية لأحد تماثيل السكباش رمز المعبود آمون رع وتعرف على مروى القديمة .

٤ — Hoskins, G. A. : نشر عدة مصورات مع وصف لمدينة مروى القديمة « المصورات » ولكنه لم يصل إلى النقة خوفاً من الأسود وقد ظم برحله هذه عام ١٨٣٣ ونشرت نتائجها عام ١٨٣٥ تحت عنوان :

“Travels in Ethiopia above the Second Cataract of the Nile; exhibiting the State of that country and its various inhabitants

under the domination of Mohammed Ali; and illustrating the Antiquities, Arts, and History of the Ancient Kingdom of Meroe.,,

٥ — Perlini : وهو طبيب إيطالي عين أول الأمر في سنار ثم في كردفان وبعدها عاد إلى الخرطوم حيث طلب الاذن من حاكم الخرطوم التركي خورشيد باشا للتقيب عن الآثار وأثناء تنقيبه عن الكنوز الزعمومة دمر عدد من أهرامات مروي عن آخرها :

See Budge, The Egyptian Sudan, vol.I, p. 285 ff.; London 1907

٦ — Heeren نشر نتائج أبحاثه في كتاب The African Nations مع وصف لآثار الحضارات القديمة في السودان .

٧ — Richard Lepsius أرسله الملك فريدريك وليم الرابع ملك بروسيا إلى مصر والسودان وسيناء ، وزار المناطق التي اكتشفها وصورها بيده العالم Cailliaud من قبل، وكان بصحبته نخبة من الفنانين ورغم أن رسوماته وخرائطه لا تتبع الأصول العلمية الحديثة إلا أنها أفضل مما فعله Cailliaud مع العلم أنه لم يسجل أى مكان جديد في جزيرة مروي . وقد نشر لوحاته في :

Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai, London 1852.

٨ — E. A. Wallis Budge حضر إلى السودان موقداً من قبل المتحف البريطاني عام ١٨٩٧ بصحبة السردار كيتشر في بعثة أثرية وقام بإجراء حفائر في أهرامات مروي لفحصها، وفي عام ١٩٠٢ ثم في عام ١٩٠٥ حضر لجمع مادة أثرية لمتحف الخرطوم . أصدر مجموعة مؤلفات تحت عنوان :

The Egyptian Sudan I,II, its History and Monuments, London 1907.

٩ — J. Garstang قام بعمل حفائر في العاصمة مروي من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩١٤ ورغم أنه لم ينشر كل نتائج أعماله إلا أنه نشر تقارير مبدئية عن أعمال الحفر في عام ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤ ، وأخيراً

من ١٩١٤ — ١٩١٦ وذلك في مجلة Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology وبالإشتراك مع F. Griffith, A. H. Sayce أصدر كتاباً تحت عنوان مروي مدينة الاثيوبيين Meroe, The City of the Ethiopians. Oxford

١٠ — وفي الربيع الأول من هذا القرن قام رايزنر G. A. Reisner على رأس بعثة بتكليف من جامعة هارفارد — بوسطن . وإلى نتائج حفائره يرجع الفضل في معرفتنا لتتابع ملوك نبتة ومروي وله في هذا السيل الكثير من المؤلفات :

1— Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia, Bull. M. F. A., XV (1917) No 89, pp. 25—34.

2— Known and Unknown Kings of Ethiopia, Bull. M. F. A., XVI (1918) No 97, pp. 67—81.

3— The Royal Family of Ethiopia, Bull. M. F. A., XXI (1923). No 124, pp. 12—27.

١١ — كما ظهرت نتائج هامة لحفائر رايزنر مؤخراً قام بلشرها مساعدته دنهام D. Dunham في مجموعته :

The Royal Cemeteries of Kush, vol. I, El—Kurru; vol. II, Nuri; vol. III, Decorated Chapels of the Meröitic Pyramids at Meroe and Barkal; vol. IV, Royal Tombs at Meroe and Barkal, Boston, Massachusettes, 1950—7.

١٢ — Vercontter فر كوتى تولى إدارة مصلحة الآثار السودانية وقام بعدة حفائر وأبحاث في أماكن أثرية كثيرة .

١٣ — وتولى بروفيسور هتزا رئاسة بعثة حفائر معهد الآثار المصرية بجامعة هومبولد ببرلين الشرقية إلى السودان منذ عام ١٩٥٧ . وخلال هذه الفترة أجرى أبحاثاً هامة في النوبة السودانية وفي المنطقة الواقعة بين نهر عطبرة وبين النيل الأزرق المعروفة باسم البطانة ، وتم تسجيل أربعين موقعا

أثريا منها ثلاثة عشر موقعا لم تعرف من قبل . كما أجرت البعثة حفائر في
المصبرات كشفت فيها عن معبد الأسد وعن أجزاء كثيرة من المجموعة المعلمية
المركبة هناك ، وتولت البعثة مهمة تسجيل الرسوم والنقوش الصخرية من
الحدود الشمالية لجمهورية السودان حتى شلال دال وكذلك في شرق النيل من
الموقع "ج" حتى شلال دال .

كما أن هناك الكثيرين غير هؤلاء ممن أسهموا في الكشف عن مخلفات
الحضارة السودانية القديمة مثل أركل وشيبي ومنهم أعلام من السودان أيضا
مثل ثابت حسن ثابت وعبد الرحمن آدم وغيره .

الفصل الأول

المصنوع الحجري

سنبداً بدراسة تفصيلية لحضارات العصر الحجري القديم في السودان . وقبل ذلك يجب أن نوضح أن هذه الفترة بالذات مازالت الأبحاث فيها في طور النمو كما أن الحفائر تعطينا كل يوم مادة جديدة تصحح بعض أفكارنا وتعلمنا الكثير من الثغرات . وحتى الآن تنفق الأبحاث الأثرية التي تمت في أنحاء مختلفة من السودان على أن أقدم حضارات السودان الحجرية كونها أقوام من العصر الزنبي من نوع يختلف عن أي نوع موجود حالياً . وقد اكتشف العالم Arkell . (Early Khartoum; Shabeinab; the Old Stone Age in the Anglo - Egyptian Sudan) مخلفات حضارية للمصنوع الحجري بأنواعها المختلفة في مناطق عديدة من السودان :

أولها : تلك التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم وأهمها ما عثر عليه من أدوات أوضحها ذلك السلاح المعروف بالفأس البدوية في المكان المعروف باسم « خور أبو عنجة » Abu Angea ويقع غربي النيل على بعد كيلومتر واحد من مكان إلقاء النيل الأبيض بالأزرق ؛ وهناك عثر على أدوات من العصر الحجري القديم الأسفل بنوعيه الشيلي والاشولي وهما أقدم أزمنة العصر الحجري القديم على التوالي . كما عثر على أدوات ترجع إلى تاريخ يسبق ظهور الحضارة الشيلية . وفي مكان آخر يسمى وادي سهر Wadi Sernu غربي النيل أيضاً ، وعلى بعد ٢٤ كم شمالي أمدرمان عثر على أدوات من العصر الأشولي المتأخر ، كما عثر أيضاً على آثار اشولية في المكان المعروف باسم وادي غفو Wadi Afu ويقع إلى الجنوب من امدرمان بحوالي ٨٠ كم في غرب النيل الأبيض ، وتعتبر هذه المنطقة أقصى نقطة في الجنوب عثر فيها على آثار تنتمي إلى العصر الحجري القديم ، وذلك حتى حدود السودان في الجنوب مع أوغندا ، هذا باستثناء بعض الآثار التي عثر عليها على سطح الأرض في مدينة الفاشر وللوجود حالياً في متحف أكسفورد بالإنجلترا ولو أن بعض

العلماء يشك من اتجاها أصيلا للفاشر . وبعد ذلك يمكن أن نحدد الأماكن التالية والواقعة إلى الشمال من الشلال السادس والتي عثر فيها على آثار من العصر الحجري القديم : مثلاً في خور اليهودي (الذي يلتقي بنهر عطبرة قبل إلتقائه بالنيل بحوالي ١٦ كم) هناك وعلى بعد ٣ كم تقريباً من نقطة إلتقاء النور مع العطبرة عثر على آثار شيلية وأشولية ، وبالقرب من الشلال الخامس في وادي الشيخ هلال شمالي الجبل المعروف باسم جبل النخرة ظهرت آثار شيلية وأشولية ، وعلى قمة جبل نوري Nuri جنوبي الشلال الرابع عثر على آثار من الحضارة الشيلية والأشولية ، وبالقرب من تنقي Tangasi جنوبي نوري أيضاً عثر على آثار عبارة عن قطع تمثل السلاح المعروف بالناس لليدوية ، وهناك أماكن أخرى عديدة ، مثل وادي جعب Ga'ab ويقع بالقرب من دنقلا ثم وادي الخوي Khoui في شرق النيل ، وفي وادي Wawa عثر على آثار سابقة في ظهورها للشيلية والأشولية . وفي جزيرة صاي وعبري Abri حيث عثر على آثار شيلية وأشولية . أما المنطقة الممتدة بين عبري جنوباً وبين الشلال الثاني شمالاً أي على امتداد المنطقة الصخرية المعروفة حالياً باسم « بطن الحجر » فلم نعدنا بأية آثار من العصر الحجري القديم الأسفل ، هذا إذا استثنينا واحة سليمة التي تقع إلى الغرب على مسافة بعيدة من الوادي حيث عثر هناك على آثار شيلية متأخرة ، كما عثر بالقرب من وادي حلفا على مخلفات ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى .

أما فيما يتعلق بمنطقة النيل الأزرق فقد عثر عند بلدة سنجه Singa في مطلع عام ١٩٧٤ على جمجمة لإنسان ، وبعد فحصها تبين إنها تنتمي إلى نوع قديم من إنسان Proto-bushman وتعد من أقدم المخلفات البشرية التي عثر عليها في السودان على الإطلاق ، وقد دلت الأبحاث على أن ذلك النوع من البشر عاش في الفترة الأخيرة التي تقع بين العصر الحجري القديم الأسفل والعصر الحجري القديم الأعلى . والملاحظ أن مخلفات ذلك الإنسان في كل من سنجه وأبو حجار Abu Hagar التي تقع إلى الجنوب من سنجه

وعلى عمق ٨,٤٠ متراً في باطن التربة تختلف عن مخلفات إنسان العصر الحجري القديم حيث يندر فيها ظهور الفأس اليدوية ، وقد وضعه Arkell في الفترة الواقعة بين العصر الحجري القديم الأسفل وبين بداية العصر الحجري القديم الأعلى (الصناعة السيلية) كما سبق أن ذكرنا .

وكان إنسان ذلك العصر صياداً يعيش على صييد البر والبحر وعلى ما يجمعه من ثمار الأشجار ، وليس هناك أية مخلفات تدل على معرفته للزراعة أو لاستئناس الحيوان . ولقد كانت الصحراء الحالية تمتلئ بالحياة النباتية والحيوانية : Rex Keating, Land of Kush in UNESCO—Courier : December 64. p. 29/30 أثبتت الاكتشافات الجيولوجية التي ظلت بها البعثات الحديثة في بلاد النوبة أن النيل قبل أن يشق مجراه الحالي في هضبة النوبة منذ حوالي ٥٠,٠٠٠ سنة كانت له عدة فروع داخل الصحراء . وعلى طول تلك المجرى المائية القديمة أيضاً عاش إنسان العصر الحجري ، ولقد عثر على آثار حضارية تنتمي إلى ذلك العصر على مسافة ٢٠ ميلاً داخل الصحراء . وحوالي عام ١٠,٠٠٠ ق م . ازدادت نسبة الأمطار التي كانت تسقط على منطقة النوبة مما هبها الجو المناسب لحياة العديد من الحيوانات الضخمة كأفراس النهر والفيلة والزراف ، ولا بد أن تلك الصور والرسوم الصخرية المنتشرة على صخور النوبة ، إنما هي تسجيل قام به إنسان ذلك العصر لما حوله من طبيعة . كما اهتم إنسان العصر الحجري القديم بدفن موته بالقرب من مساكنه ووضع معها ما ظن أنه يعينها على الحياة بعد الموت من متاع الدنيا وأسلحتها . حسب اعتقاداتهم الدينية . وقد لوحظ أن السكاكين ورؤوس السهام المستعملة كانت من نوع يشبه ما كان موجوداً في شمال الوادي من العصر الحجري القديم الأعلى . كما استعمل خطاف معين لصيد الأسماك .

حضارة العصر الحجري الحديث في السودان :

عثر على إحدى مراكز ذلك العصر الحضارية في الشهبان — غربي النيل وعلى بعد حوالي ٤٨ كم شمال أم درمان . وتتميز تلك الحضارة بأنواع

القضار الأسود أو ذى الخافة السوداء ، ولم يعثر على مدافن لأصحاب تلك الحضارة سواء داخل المساكن أو بعيداً عنها . ومن أجل عدم توافر المادة الأثروبولوجية لا يمكن الجزم إن كان أصحاب حضارة العصر الحجري الحديث من نفس عنصر أصحاب الحضارة السابقة أم من العنصر الأهمر Brown race وعلى أية حال فإن المخلفات تدل على أن إنسان العصر الحجري الحديث بالسودان قام بتطوير أدواته واستعمل الكثير من حلى الزينة . ولا شك أنه استطاع أن يتقلع عبر النيل بما يشبه القوارب البسيطة التي ربما استعملها أيضاً للصيد . ولم نعثر على أية شواهد تبين معرفة إنسان ذلك العصر لمبادئ الزراعة . على الرغم من معرفته لاستئناس بعض الحيوان وتدل المخلفات الحيوانية أن الطمس قد بدأ يتغير عنه في العصر السابق .

وينتمى إلى تلك الحقبة كثير من النقوش الصخرية التي عثر عليها على عديد من صخور النوبة ، والجدير بالملاحظة أن الكثير من مظاهر حضارة العصر الحجري الحديث بالخرطوم لها نظير معاصر ، تمثل في حضارة العصر الحجري الحديث بالفيوم ، وهي أقدم حضارات العصر الحجري الحديث في مصر على الإطلاق ، وكلاهما عاش في فترة الألف الرابعة ق . م ، بالرغم من مساحة الألف ميل أو يزيد التي تفصلهما . أما تلك المظاهر فمحصورة في : كثرة استعمال النار في العلي واستئناس بعض الحيوان وعدم التوصل لمعرفة الزراعة . وعدم دفن الموتى داخل المساكن . واستعمال نوع معين من رؤوس السهام . ثم استعمال أنواع متشابهة من القضار وخرز الزينة .

ولا جدال في أن ذلك يؤكد الصلة الحضارية بين شطرى الوادى منذ أقدم العصور . وما زلنا نفتقر إلى المعلومات عن الفترة الواقعة ما بين حوالى عام ٣٨٠٠ ق . م ، وحوالى عام ٣١٠٠ ق . م . بالنسبة للحضارة السودانية ، وهي نفس الفترة التي ظهرت فيها حضارات عصر ما قبل الأسرات في مصر .

الفصل الثاني

المجموعات الحضارية

حضارة المجموعة الأولى :

حوالي عام ٣١٠٠ ق م . بدأت تظهر في شمال البلاد مجموعة جديدة لها صفات حضارية خاصة . اسمها مكتشفها رايزنر بالمجموعة الحضارية الأولى . وجل مخلفاتها عثر عليها في النوبة ، وحتى الآن لم يشر على أكثر من جبانين لأصحاب هذه المجموعة في السودان ، واحدة في فرص شمالي وادي حلفا ، والأخرى في جبي جنوبي وادي حلفا ، ولكن الباشين عثروا على بعض الفخار المشابه لفخار المجموعة الأولى في أنحاء متفرقة من شمال السودان وبخاصة بالقرب من أمدرمان . ولعل الأدوات النحاسية التي عثر عليها في مقابر المجموعة الأولى في فرص هي أقدم ما عثر عليه من أدوات معدنية في السودان للقديم حتى الآن .

وتعطينا بعض الآثار المصرية المستوردة ، والتي عثر عليها في مقابر تلك المجموعة ، تاريخاً يعاصر منتصف الأسرة الأولى في مصر (٣٠٠٠ - ٢٩٠٠ ق م) .

وهكذا نجد أن سمات حضارة المجموعة الأولى في شمال السودان وفي النوبة المصرية تظهر بوضوح منذ العصر الذي تم فيه توحيد شمال الوادي وتكوين الحكومة المتحدة الثانية تحت زمامة ملوك الأسرة الأولى . ففي ذلك الزمان يبدو أن بلاد النوبة قد وفد عليها أقوام من الشمال لا يختلفون كثيراً عن العصر الذي كان موجوداً في مصر والتي تنتمي إليه عصر ما قبل الأسرات من حيث العصر البشري ونوع الحضارة . وأخذت حضارة المجموعة الأولى تزدهر في أقاليم النوبة أيام الأسرة الأولى في مصر ، بعد أن كانت تلك البلاد تقتصر كثيراً إلى العصر البشري ، ويبدو ذلك جلياً عند مقارنة مخلفات المجموعة الأولى المتأخرة بما تم العثور عليه من المباني التي تنتمي إلى عصور أقدم . وأهم ما يميز حضارة المجموعة الأولى أنواع الفخار الذي عثر عليها مع الدفات منها القدور الكبيرة ذات اللون

الأحمر الفاتح (الوردى) ثم الأواني الصغيرة ذات الحليسات التي تعتبر تقليداً للسلال ، أما طريقة الدفن فكانت تتم بوضع المتوفى إما في حفرة يضاوية أو يضاف لتلك الحفرة حفرة أخرى جانبية تشبه الكوة الكبيرة يتم فيها الدفن على هق قد يبلغ ١٣٠ متراً . (أنظر W. Emery, Egypt in Nubia p. 125) ويرقد الميت في وضع القرفصاء على جانبه الأيمن على أن يكون الرأس ناحية الغرب ، وكما هو الحال في مقابر ما قبل الأسرات في مصر كان يحاط المتوفى بعدد من الأواني الخزارية الحجرية وبعض الأدوات النحاسية ثم عقود الزينة من الأحجار نصف الكريمة والمحار .

وقد كشفت البعثة النمساوية على رسوم صخرية ترجع إلى أيام المجموعة الأولى (أنظر 28/29, Rex Keating, UNESCO Courier December 1964 p.) وكذلك كشفت البعثة الاسكندنافية عن تمثالين صغييرين أحدهما لفنة صغيرة والآخر لامرأة في مقبرة سيدة من المجموعة الأولى (نفس المرجع p. 28).

وآثار ملوك الأسرة الأولى التي عاصرت حضارة المجموعة الأولى على قلعتها يجب أن تدرس بعناية . فسكا درست لوحة نعرمر الذي اقترن فيها الرمز بالصورة ، والذي بواسطتها أمكن التأكد بصورة تكاد تكون قاطعة من قيام الحكومة الموحدة المصرية على يد نعرمر . يجب كذلك أن يدرس الأثر المسجل على صخور جبل الشيخ سليمان في غرب النيل عند كور (نقل إلى متحف الخرطوم) إلى الجنوب من بوهين والمخاص بالملك جر من أوائل ملوك الأسرة الأولى المصرية لمساه من أهمية بالنسبة لدراسة تاريخ السودان القديم ذلك الأثر بدى فيه نموذج من المحاولات الأولى للتسجيل بالرمز الذي يكاد يقرب من الكتابة في أول أطوارها . هنالك صور الإسم مكتوبا كما هي العادة المتبعة في كتابة الأسماء الملكية بالعلامة التي تقرأ في الهيروغليفية جر ، فوق ما يشبه تمثيل لواجهة القصر للملكي ، وفوقها جميعاً رسم للصقر رمز الإله حورس ، ورمز الملك كوريث للإله حورس على العرش وهو المعنى المؤخوذ من التقليد القديم الذي تحول إلى أسطورة منذ أن ظلت الوحدة الأولى في مصر قبل وحدة نعرمر . منا التاريخية هناك حسب قول الأسطورة

كان يحكم البلاد آلهة وكان الإله حورس هو القائم على تلك الوحدة العريقة . ومن يومها تيمن القراعتة باسمه وأضافوا إلى أسمائهم اسم حورس . وأمام اسم الملك جر المذكور صور أحد الأسرى واقفاً بينا قيدت يداه خلف ظهره بحبل . وتصوير الأسرى مقيدين بتلك الصورة ظل معمولاً به في التصوير والرمز طوال التاريخ المصري القديم . وأمام الأسير رمزاً لما يشبه المياه . ولعل المقصود به أن موقعة تحرية بين جنود ملك مصر وبين أهالي المنطقة حدثت في منطقة الجنادل حيث الملاحاة الصعبة . وربما يعني ذلك أن القتال قد دار في النهر — تم صور القتال دائرتين داخل كل منهما خطين متقاطعين عمودياً وفوق أحدهما طائر يشبه الصقر وفوق الأخرى علامة فامضة ، وتلك الدوائر عرفت في الكتابة الهيروغليفية بعد ذلك على أنها رموز لكلمة مدينة بمعناها القديم . وربما المقصود أن القتال الذي دار في منطقة الجنادل قد نتج عنه إخضاع العصاة في مدينتين بمنطقة الملاحسة الصعبة بالنوبة .

وبعد ذلك يحاول الفنان أن يفسر الرموز السابقة فيصور مركبا مصريا صميما مربوطا في مقدمته أحد الأسرى بحبل يلتف حول رقبته ويديه الموثوقتين خلف ظهره . وأسفل المركب وتحت الأسير صور أربعة رجال صرعى . إذن فكما هي العادة في الكتابة الهيروغليفية التي أخذت محاولاتها الأولى ترسخ وتأخذ شكلها النهائي خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية . نجد الفنان هنا يحاول كتابة الحدث بالرموز المتعارف عليها . ثم يفسره أخيراً برسم يقرب إلى الصورة منه إلى الكتابة (انظر اللوحة رقم ١٠) .

ولو أضفنا إلى نقش الملك جر السلف ذكره أمر العثور على كثير من صناعات الأسرة الأولى في المقابر التي ترجع إلى حضارة المجموعة الأولى Emery, Archaic Egypt, p. 60. ، تلك القطع التي تتشبه في أواني حجرية من الطراز الخاص بعصر الأسرتين الأولى والثانية داخل قلعة بوهن إذن لحاولنا إرجاع أول عهد المصريين بارتياح تلك البلاد إلى أيام الأسرة الأولى في مصر ، وليس هذا بمستبعد إذا عرفنا أن ملوك الأسرتين الأولى

والثانية قد احتاجوا لذهب النوبة الذي صنعوا منه كثيراً من آثارهم الملكية .
فكما حدثتنا نصوص الأهرام التي يرجع الكثير منها إلى ما قبل تسجيلها في أيام
الدولة القديمة بكثير ، كان الذهب معدناً ملكياً مقدساً فكل ما يخص فرعون
فهو ذهبي مقدس . ولا شك أنهم حاولوا تلك الحملات إخضاع البلاد ليضمنوا
وصول ذلك المعدن المقدس إلى القصر الملكي في الشمال .

وظلت الأحوال مستقرة ، واستمرت حضارة المجموعة الأولى في الازدهار
إلى أن وصلت الأيام زمن الملك خح — سخم (وليس خح — سخموى كما
ذكر Arkell, p. 40) هنالك يبدو أن الأحوال قد اضطرت إلى إرسال
حالة قوية إلى الجنوب من حدود مصر (Emery, Archaic Egypt, p. 100, fig. 64)
فضمن الآثار القليلة التي عثر عليها في « هيراكن بوليس » جزء
من لوحة صور عليها تسجيلاً لانتصاره على أهل الجنوب « تاسق » ، ويلاحظ
أن الشخص الذي صور ليرمز لأهل الجنوب ملتجئاً ، ويعتبر هذا من أقدم
الصور التي تمثل أهل الجنوب .

والظاهر أن حالات خح — سخم قد قضت على حضارة المجموعة الأولى
في النوبة ، وبداية عهد الدولة القديمة تظهر سمات حضارية أخرى تختلف
في مجموعها عن مميزات حضارة المجموعة الأولى .

حضارة المجموعة الثانية (٢) :

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من العلماء يعترض على وجود تلك الحضارة
أصلاً ، وهي التي عاصرت زمن الدولة القديمة في مصر ، أي في الفترة من ٢٨٠٠ —
٢٢٠٠ ق. م. وتتميز بقرها .

ولعل أبرز الحملات التي تم تسجيلها بصورة واضحة تلك الحملة التي قامت
أيام ماهر الأسرة الرابعة الملك سنفر ضد أصحاب حضارة تلك المجموعة
حيث سجلت أخبارها ضمن حوارياته على حجر بالرمو المشهور ، ومن الأرقام
التي ذكرها سنفر نستطيع أن نكون فكرة عن مدى مقاومة أهل البلاد وعن
محاولة المصريين الاستفادة من العنصر البشري ، فرغم أن تلك المعلومات سجلت

بطريقة مقتضية جداً كما اتبع في كل الأحداث المسجلة على الحجر المذكور فقد وردت أرقام الأسرى التي بلغت ٧٠٠٠ أسيراً بالإضافة إلى ٢٠٠٠٠٠ ألف رأس من الأغنام والماشية ، وقد أطلق سنفرو على سكان الجنوب وقتذاك اسم «نحسيو» وكان المقصود بهذا التسمية كل القبائل التي تسكن جنوبي الحدود المصرية . وقد يبدو طبيعياً أن نتصور سبب اضمحلال الحضارة التي عرفت بحضارة المجموعة الأولى وكذلك حضارة المجموعة الثانية في شمال السودان وفي النوبة المصرية ، فلا بد أن هجمات الملك خع — سخم ومن بعده الملك سنفرو كانت من العوامل الحاسمة . وبعدها كثر الحديث في الآثار المصرية عن البعثات التعديسية والتجارية من أجل الحصول على منتجات الجنوب ولعل أهمها جميعاً الذهب .

وضمن آثار الدولة القديمة منذ أيام الأسرة الرابعة يبدأ استعمال حجر الديوريت في صناعة التماثيل الملكية مثل تماثيل خنرع بالمتحف المصري ، ولقد دلت الأبحاث على توافر ذلك الحجر في المنطقة الواقعة إلى الغرب من تشقه بحوالى ٨٠ كيلومتر ، هنالك وفي منطقة المهاجر عثر الاثريون على أسماء الملوك خوفو ودد فرع ثم ساحورع واسيسى من الاسرتين الرابعة والخامسة .

ومما هو جدير بالذكر أن أحدث الأبحاث في منطقة بوهين إلى الجنوب من وادى حلفا قد كشفت النقاب عن وجود معدن النحاس هناك ووجود مدينة سكنية كبيرة محصنة للعمال والمشتغلين المصريين ، بالإضافة إلى عدد قليل من أهل المنطقة ينتمون إلى المجموعة الحضارية الثالثة . والغريب أن كثيراً من الدلائل تشير إلى أن تلك المدينة ترجع في تأسيسها إلى العصر العتيق أى قبل قيام الدولة القديمة ، فيصرف النظر عن أنواع الفخار التي عثر عليها والتي تشبه فخار الأسرة الثانية المصرية والذي يحتمل أن استعمالها قد استمر أيام الأسرة الرابعة أيضاً ، هناك طراز الطوب الكبير المشيدة منه حوائط المدينة ، فهو من نفس طراز الطوب المقامة به عمائر الأسرة الثانية .

وقد عثر على أسماء كل من الملوك خنرع ومنكاورع من الأسرة الرابعة

ثم ساحورع ونقر إركارع ونيوسرع من ملوك الأسرة الخامسة سواء على شكل أختام أو على قطع للفخار، وغنى عن البيان أنه بناء على اكتشاف تلك المدينة السكنية التي قامت لتصبح مركزاً لاستخلاص معدن النحاس ، فلا بد أن مناجم ذلك المعدن كانت وما تزال موجودة في مكان ما بالقرب من يوهين تنتظر اليوم الذي يكشف فيه النقاب عنها . وهكذا يضاف إلى محاصيل ومنتجات النوبة معدن آخر هو معدن النحاس فهل ورد ذكره في النصوص المصرية ضمن محصولات النوبة ، أم أن استخلاص النحاس من المنطقة المحيطة بيوهين اقتصر فقط على زمن الدولة القديمة ثم تلاشى ؟ . الواقع أن هذا المعدن لم يرد ذكره ضمن قوائم منتجات النوبة أيام الدولة الحديثة كما أن الآثار التي وجدت بالمدينة المذكورة كانت قاصرة على زمن الدولة القديمة فقط ولم تتعداها .

وفي رأي أن علاقة مصر ببلاد النوبة أيام العصر العتيق تحتاج إلى كثير من البحث والجرأة أيضا في استخلاص النتائج . فمثلا هناك أثر للملك خع سخم من الأسرة الثانية يسجل بطريقة مقتضبة انتصاراً على أهل الجنوب وفيه أشير إلى اسم تلك البلاد بالإشارة التي تعارف عليها طوال التاريخ المصري القديم «تاسي» وبشكل واضح ليس فيه تردد المبتدئين، مما يدل على معرفة سابقة بمدلولها . ولو أخذنا في الاعتبار العديد من الشواهد السالفة الذكر لما أصبح هناك مجالاً للتردد في حقيقة أن المصريين — وعلى الأخص في النصف الثاني من العصر العتيق — قد ارتادوا تلك البقاع وعرفوها سواء للتجارة أو عند صيد الغارات ، ويبدو ذلك بشكل واضح خلال التاريخ الطويل للأسرة الثانية ، فالتعارف عليه أن العصر العتيق قد دام نحو أربع مائة وخمسين عاماً بل إن بعض المؤرخين يقدرها بحوالى خمسة قرون ونصف قرن ، وهي فترة كافية بلا شك لرسوخ أقدام الحضارة المصرية التي مرت خلال تجارب رائدة لإرساء دعائم حضارة عريقة وذلك قبل بداية العصر العتيق وقبل قيام الوحدة الثانية على يد نعرمر — منا مؤسس الأسرة الأولى في تاريخ الوادى .

وفي تلك المصوور السحيقة أطلق المصريون على جيرانهم في الجنوب اسم

«تاستيو» ومحو أرضهم «تاسق» بمعنى أرض أهل الأقواس وحتى اسمهم كتب بالإشارة الدالة على الأقواس مع العلم بأن إقليم أسوان وهو أول أقاليم الصعيد الواقع في أقصى حدود مصر الجنوبية، كان يطلق عليه نفس الاسم، ولعلهم قصدوا بذلك أنه أقرب الأقاليم لأهل الجنوب . بل إنهم بذلك يكادون يعتبرونه ضمن أقاليم النوبة ، والحقيقة أن أهل النوبة امتازوا منذ القدم بمهارة استعمالهم للأقواس والسهام في الإغارة ، وطالما قامت بعض جماعاتهم بمهاجمة الحدود الجنوبية لمصر وكذا البعثات العديدة للمصريين فيها وراء الشلال الأول ، ويكاد يتفق الرأي على أن غارات أهل النوبة السفلى على حدود مصر في عصورها المختلفة وبخاصة تلك المرحلة من التاريخ القديم إنما مردها إلى طبيعة البلاد الجغرافية التي أصيبت بالجفاف فقلت مواردها .

وقد إزداد اهتمام المصريين بالجنوب منذ أواخر الأسرة الخامسة المصرية وأخذوا في تنظيم علاقاتهم بجميرانهم فيها وراء الشلال الأول وهناك ظهر منصب جديد هام أطلق على صاحبه (حاكم الجنوب) وكانت مهمته سياسية واقتصادية ، فهو المسئول عن حراسة الباب الجنوبي لمصر ، والقضاء على الاضطرابات العديدة التي غالباً ما سببتها هجرات غربية عن المنطقة ، وكان يقوم بتنظيم التبادل التجاري بين محاصيل القارة ومحاصيل مصر ، ثم كان عليه أن يمد وسائل المواصلات لبعثات التجارة والتعدين المصرية فيها وراء الشلال الأول، وكان يشترط في شاغل ذلك المنصب عدا الخبرة بشئون التجارة والبدل أن يجيد لغات ولهجات القبائل المقيمة في النوبة ليسهل الاتصال بها . ولعل ذلك أن يكون أوضح مثال للدبلوماسية في العالم القديم . وقد سميت أسوان بهذا الاسم ومعناه بالمصرية «السوق» إشارة إلى مهمة المدينة الفعلية حيث كان يقيم حكام الجنوب وهناك كشفت الحفائر عن سلسلة من المقابر الصخرية لهؤلاء الحكام من زمن الدولة القديمة ، ومن أمثلة حكام الجنوب أيام الأسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٥٨ ق. م.) «أوني» (Kurt Sethe, Urk. des) (A. R. I, 98—110) وقد سجل تاريخ حياته على صفيحتات قهره بموطئه أيدوس «حيث نقل هذا النقش الهام من هناك إلى المتحف المصري بالقاهرة»

وخدم أونى زمن الملوك تيتى ويبي الأول ومرنرع من الأسرة السادسة ، ولا جدال فى أن إنشاء منصب حاكم الجنوب هو تطور فى تنظيم علاقة مصر ببحراتها فى الجنوب وتهذيب للعلاقات الدبلوماسية بين الدول . وبداية وضع الأسس للدبلوماسية المصرية التى اتضح دورها فيما بعد قيام الدولة الوسطى والحديثة ، عندما أصبحت التقاليد الدبلوماسية راسخة . وذكر حاكم الجنوب أونى ضمن ما ذكر أنه استعان بجنود من جهات النوبة المختلفة مثل ارمت ، البجا ، أيام ، واوات ، وكاعو وذلك عند قيامه بجهاز جيش لمحاربة البدو الاسيويين . كما كلف أونى من لندن مليكه بإحضار تابوت حجرى كامل وقعة هرمية ليتوج بها هرم الملك فى صقارة ، من منطقة عاجر تدعى إيهيت بالنوبة ، ويفخر أونى بوصوله إلى تلك البقاع التى لم تصلها بعثات مصرية من قبل على حد تعبيره . وفى مهمة أخرى أرسل أونى إلى واوات لإحضار خشب السنت اللازم لإعداد ثلاث مراكب للنقل وأربعة مراكب أخرى ، فيبين كيف أن رؤساء ارمت والبيجا قاموا بإمداده بالخشب اللازم وأنه استطاع أن ينجز تلك المهمة فأنزل المراكب إلى النيل بعد أن حملها بكثير من حجر الجرانيت اللازم لبناء الهرم الملكى .

مضارة المجموعة الثالثة : (انظر اللوحة رقم ١ واللوحة رقم ٢)

انتهت دورة من دورات التطور وقامت الثورة الشعبية العارمة وسقطت على إثرها أعنى وأقوى العروش حينئذاك ونعنى بها الدولة القديمة فى مصر ، وانقطعت الصلات التجارية المنتظمة بين السودان ومصر ، وتذكر المصادر الأدبية التى تردد صداها بعدئذ أن جنود الجنوب الذين كانوا ضمن حرس فرعون قد ساهموا فى إذكاء نار الثورة ، ويحدثنا أمير إقليم أدفو أيام فترة الحقبة الأولى فى مصر بعد سقوط الدولة القديمة (على جدران قبره فى المعلة) عن إرسال الجيوب إلى واوات إثر إنتشار المجاعة هناك ، للمساهمة فى حل الأزمة وفى ذلك إشارة إلى استمرار وجود الصلة بين مصر والنوبة فى ذلك الوقت .

(Vercoutter, Kush V, p. 69; Vandier, Mo'alla, Le Caire 1950 p. 220 ff.)

وكما ظهر الجنود النوبيون ضمن فرق أمراء الأقاليم أيام ازدهار الإقطاع بعد سقوط الدولة القديمة ، كان لهم دور فعال في الصراع الذي أحدم بين الأقاليم بعضها البعض حيث كون منهم الأمراء فيالق كاملة وحاولوا الاستفادة من شهرتهم في استعمال القوس والسهم في الإغارة . فعلى سبيل المثال هذا أمير إقليم أسبوط يحتفظ في جيشه بفيلق نوبي فإذا ما غادر الأمير هذا العالم أمر بأن يصنع نموذج لذلك الفيلق مع غيره لسكى يوضع معه في القبر ويرافقه في رحلة الخلود ، ويحفظ المتحف المصري بالقاهرة بهذه المجموعة التي تجسد فكرة اهتمام القوم وتقديرهم لأولئك الجنود النوبيين .

وفي تلك الفترة تلمح ظهور شعب جديد في منطقة النوبة السفلى سميناها بالمجموعة الثالثة وكانت أقصى حدودها الشمالية هي قرية كباية Kubanieh إلى الشمال من كوم أمبو (Junker, Kubanieh Nord, p. 35 ff.) وحدودها الجنوبية موقع « فرص » (Posener. Kush VI, p. 40, 63) وكانت الحرفة الرئيسية لاهل تلك الحضارة هي رعي الأبقار وغيرها من الحيوان ، وتتميز حضارتهم بأنواع خاصة من الصناعات اليدوية وأهمها النخار ، فينسب إليهم نوع معين من القدور السوداء ذات الخطوط البيضاء المتقاطعة ، كما يلاحظ عدم وجود فوارق كبيرة بين حجم المقابر الخاصة بتلك الحضارة وكذلك فيما يختص بشكلها المستدير .

حضارة كرم : (انظر اللوحة رقم ٣)

وإلى الجنوب من منطقة المجموعة الثالثة ظهرت المجموعة الحضارية التي أطلق عليها حضارة كرم نسبة إلى مركزها الرئيسي وهو قرية كرم الحالية بالقرب من الشلال الثالث ، حيث عثر حديثاً على مخلفات هذه الحضارة ، ولقد انتشرت تلك الحضارة على ما يبدو في منطقة دنقلة حتى « صاي » و « عمره » في الشمال ، وهي منطقة يتسع فيها السهل وتكثر الخيرات الزراعية ، وانفردت بنوع خاص من النخار الأحمر المصقول ذي الحافة السوداء وبنوع فريد من الحناجر ، وأهم من ذلك التفاوت الكبير بين شكل وحجم المقابر وطريقة الدفن ، ولكي نوضح المقصود يكفي أن نبين أن القبر في كرم الذي اتخذ شكل السكوم

المستدير المنخفض قد شغل أحياناً مساحة كبيرة جداً ، ففي إحداها بلغ قطره حوالى ٩٠ متراً ولم يتعدى الارتفاع ثلاثة أمتار فقط ، وفي جسم السكوم المستدير وبخاصة في المقابر الكبيرة بنى حائطان من الطوب اللبن بمحاذاة القطر يكونان ما يشبه الدهليز ويفترع منه بزاوية قائمة حوائط تصل إلى محيط القبر مهمتها المحافظة على شكله الخارجى ، ويجمعها حائط دائرى منخفض ، ويغطى القبر بعد ذلك بالرمال وتوضع على قمته لوحة غير مكشوبة ، ويحدد من الخارج بدائرة من الأحجار الصغيرة السوداء وفي منتصف هذا السكوم في الداخل بنيت حجرة رئيسية غالباً ما تكون فوق سطح الأرض ، وأحياناً كانت تحوى على حفرة يتم فيها دفن صاحب القبر بدون تحنيط بوضعه على سرير من الخشب ، وكانت هذه الحجرة في المقابر الكبيرة ذات قبة من الطوب اللبن ، وفي داخل منطقة الدفن في كرمه عثر على مقاصير مبنية من الطوب تحمل رسوماً ، كانت بمثابة أماكن لإقامة الطقوس الخاصة بكل الجبانة :

Reisner, Mus. of Fine Arts, Bull. 13, p. 72, Vercoutter, Kush VI, p. 148 and pl. XL. I.

وانتشرت بين أصحاب تلك الحضارة عادة التضحية بالأتباع والحشم والحيوانات ثم دفنهم دفعة واحدة مع صاحب القبر ، ففي المقابر الكبيرة في كرمه بلغ عدد الأشخاص الذين قتلوا ليدفنوا مع سيدهم ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخصاً ما بين رجال ونساء وأطفال ، أما المقابر الأصغر شأناً فيتفاوت عدد ضحاياها بين ١ ، ٢ شخصاً ، كانوا يتركون في أرضية غرفة الدفن الرئيسية ثم في الدهليز الكبير داخل المقبرة في غير ما نظام معين ، وجدير بالذكر أن بعض مقابر ملوك الأسرة الأولى في أييدوس وسقارة في مصر ربما اشتملت على دفنات من هذا النوع (Emery, Archaic Egypt, p. 66, 1961) .
ويلاحظ أن عادة التضحية بالأتباع ودفنهم مع صاحب المقبرة عادت للظهور في منطقة النوبة بعد سقوط دولة مروي لدى أصحاب حضارة المجموعة الخامسة « X-Group » ولقد عثر في مقابرهم الضخمة في بلانة وقسطل على عديد من الضحايا الآدمية والحيوانية دفنوا بنفس الطريقة التي مارسها أصحاب حضارة كرمه حول الشلال الثالث ، ولقد حاول بعض رجال الآثار أن

يدعى بأن أواخر ملوك مملكة مروي مارسوا نفس تلك العادة السابقة إلا أن الدليل على ذلك ضعيف . وكل ما يمكن قوله في هذا السبيل هو أن بعض ملوك أسرة نبتة قد مارسوا هذه العادة بالنسبة للتضحية بالحيوان والخيول بالذات ، فقد عثر على مقابر خاصة بالخيول في الكرو بالقرب من أهرامات أصحابها من الملوك مما سird ذكره فيما بعد . وهكذا يبدو من طريقة الدفن . وبما عثر عليه هناك من صناعات بدوية متقدمة أن حضارة كرمة قد امتازت عن حضارة المجموعة الثالثة في الشمال بنظام مركزي قوى ونظام على متقدم ، فكان يزعم أهلها أمير من تحت جهاز إداري ، ولولا عدم وجود وثائق مكتوبة لعدم استعمالهم للكتابة ، لأمكن تحديد أسماء وأنساب أولئك الحكام أصحاب تلك المقابر الضخمة في كرمة . ولا يمكن معرفة الكثير عن درجة تفكيرهم ومستوى حضارة قومهم .

وبما هو جدير بالملاحظة أيضا أن المرجح الوحيد لهذه الحضارة حاليا يتمثل في نتائج حفائر Reiner في كرمة . ورغم أن تقارير ريزنر قد أمدتنا بالكثير عن حضارة كرمة إلا أنها تحتاج إلى الكثير من الدراسة فلا بد أن أصحاب تلك الحضارة هم الأصل في قيام الحضارات المستقلة في شمال السودان في الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الوسطى وقيام الدولة الحديثة في مصر . وليس بمستبعد أن أهل كرمة والمنطقة المحيطة بها هم أصحاب دولة كوش التي عاصرت الهكسوس والتي حاول أبو فيس ملك الهكسوس أن يعقد معها حلفا يساعده على إخضاع أهل طيبة (وهم أصحاب الأسرة السابعة عشر المصرية كما سird ذكره فيما بعد) . هذا وقد عاشت كلا الحضارتين بجانب بعضها البعض حتى دخول الهكسوس وغزوم لمصر عام ١٧٣٠ ق. م. ، أما الآراء حول أصل أصحاب حضارتى كل من المجموعة الثالثة وكرمة فقد تفاوتت: أما ريزنر فيفرق بين أصحاب كل من الحضارتين ، ويعتبر أن أصحاب المجموعة الثالثة يمثلون شعبا بدويا ربما يمت بصلة قرابة لليبيين الجنوبيين (الطمياح) . أما أهل حضارة كرمة فيعتبرهم مجموعة استوطنت البلاد منذ الدولة القديمة وربما قبل ذلك (Reiner Kerma V. p. 555 ff.) ويضيف أن كليهما لم يدخل عليه إلا مسحة قليلة من العنصر الزنجي .

أما شتايندروفي Steindorff, Aniba, p. 13 فيعتبر أصحاب حضارة كرمة ضمن طائفة شعوب شمال إفريقيا مثلهم في ذلك مثل الليبيين ، أما المجموعة الثالثة فيقول إن أصحابها قد وفسدوا من منطقة منابع النيل الأزرق والعطيرة أو من منطقة كردفان .

ويعتبر يونكر Junker, Kubanieh Nord p. IV.V كليهما من العنصر الحامى المختلط . بهما الزوج ويؤكد أنهما قبيطان لشعب واحد .

ويقول آركل Arkell, History p. 46 ff إن أصحاب المجموعة الثالثة ليبيين جنوبيين . وبالدراصة المستفيضة لمخلفات الحضارتين تتضح الصلة الحضارية بينهما وبخاصة في طريقة الدفن على سرير ومادة التضمينية بدفن الحيوان مع المتوفى وكذلك في شكل القبر يضاف إلى ذلك بعض المصنوعات المتشابهة . Steindorff Aniba I, p. 16. أما ما يظهر من اختلاف كبير في حجم المقابر وفي دفنات الأتباع التي تمتاز بها حضارة كرمة فربما كان مرده إلى ذلك النظام المركزي الذي تمتع به حضارة كرمة، بعكس حضارة المجموعة الثالثة ، وليس غريب أن نجد أن أقصى الحدود التي بلغها المصريون أيام الدولة الوسطى تنتهى عند الحدود التي تفصل بين هاتين الحضارتين جغرافيا أى عند الشلال الثانى .

انخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة :

ولقد اضطرت الإغارات المتتالية على حدود مصر الجنوبية ملوك الأسرة الحادية عشر إلى إرسال الحملات الحربية لتأمين الحدود وإخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة . وربما كان في تسجيل أسماء بعض الملوك المصريين في مناطق النوبة السفلى مثل « جرف حسين ، توماس ، وأبريم ، وتشقه ، وأبو ممبل » وغيرها ما يفيد وصول حملات الأسرة الحادية عشرة إلى تلك البقاع أثناء قيامها بمطاردة المغيرين وتأمين سبيل التجارة بين مصر وبين شمال السودان . وهناك نقش من دهيت جنوبي أسوان لأحد رجال متوحشب الثانى عاقل الأسرة الحادية عشرة وموحد مصر بعد فوضى الانقسام في

الفترة الممتدة بالعصر الوسيط الأول (٢٢٦٣ — ٢٠٤٠ ق م) ، وصاحب النقش (أنظر أحد بدوى فى موكب الشمس الجزء الثانى ص ٢٢٧ ، هامش رقم ٣) يتحدث عن قيامه يجمع جنود لجيش مصر من أبناء النوبة ليساهموا فى الحرب ضد الآسيويين . من ذلك نرى مدى تقدم العلاقات التى أمكن إعادتها فى بداية الدولة الوسطى . وفى النبوءة التى أطلقها امنمحات الأول عاهل الأسرة الثانية عشر تمهيداً لتولية عرش مصر ومحاولة إعطاء حكمه الصيغة الشرعية (بردية بطرسبرج رقم ١١١٦) ماقد يشير إلى ، أن أم امنمحات الأول من النوبة ولا يفوتنا الإشارة إلى ملامح متوحش الثانى عاهل الأسرة الحادية عشرة ولون بشرته التى تميل إلى السواد . والراجع أن فتح النوبة أيام الدولة الوسطى قد بدأ زمن امنمحات الأول وبعد أن استقرت له أمور الملك والسياسة ، فالتقوش الصخرية عند وادى جرجاوى بالقرب من كورسكو (انظر أحد بدوى الجزء الثانى ص ٢٢٩ وما بعدها) المؤرخة بالعام التاسع والعشرين من حكمه تشير إلى إرسال حملة إلى واوات ثم ما قرره امنمحات بنفسه فى تعاليمه لولى عهده سنوسرت الأول من أنه أخضع أهل واوات والحجا ، ولعل فى تسجيل اسم امنمحات الأول فى محاجر الديوريت بأبى سمبل دليلاً على نشاط بعثات المحاجر فى أواخر أيامه .

والواقع أن حملات سنوسرت الأول على بلاد النوبة كانت بالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة حاسمة ، وقد سجل الملك أخبار انتصاراته ووصوله إلى أقصى منطقة وصلت إليها القوات المصرية أيام الدولة الوسطى على لوح أقيم فى معبد بوهين تحت قيادة قائده متوحش وذلك فى العام الثامن عشر من حكمه (Breasted, AR, 510 ثم بدوى الجزء الثانى ص ٢٣٢ وما بعدها ، Arkell, History, p. 59 f.) وقد سجل عليه أسماء عشرة أقاليم تقع إلى الجنوب من مصر وخضعت كلها للملك ضمنها كوش ، وشعات Shaát وهى صاى الحالية (Verecouter Kush VI 147—8.) ثم شميك Shemyk وربما كانت هى نفسها أورونارتى Uronarti ، وبهذه المناسبة نود أن نشير إلى أن أحدث الأبحاث التى قام بها العالم فركونى Verecouter (فى مجلة : Kush V, p. 61—69) فى بوهين والمنطقة المحيطة بها أشارت

إلى احتمال نزوح عدد كبير من المصريين وبخاصة من أهالي منطقة طيبة ، وقد قام هذا العالم بدراسة مخلفاتهم هناك وبخاصة اللوحات التي تركوها ، واستنتج من دراسة أسماء أصحابها ومن معبوداتهم وجود عدد غير قليل منهم في الفترة التي تلت فتوحات سنوسرت الأول والثالث ليقيموا داخل القلاع العديدة التي أخذت تنتشر في البلاد ، وتشهد جباناتهم بما تحتويه من تقاليد وطادات مصرية صميمية بموطنهم الأصلي . والواقع أن موضوع إستيطان عدد من المصريين في بلاد النوبة في بداية أيام الدولة الوسطى مازال يحتاج إلى مصادر تاريخية أوفى وأشمل حتى يمكن أن يقول العلم فيه كلمته الأخيرة . فإن أغلب النصوص التي تتحدث عن حملات حرية ضد التائرين من أهل تلك البلاد تشير إلى احتمال إستيطان الجنود المصريين للبلاد؛ فنقوش أمنمحات حاكم إقليم بنى حسن في مصر الوسطى ، التي تحكى عن حملات حرية ضد التائرين في تلك البلاد ، تشير إلى عودة الجنود بعد انتهاء مهامهم إلى موطنهم الأصلي في مصر .

ورغم قلة المصادر الموثوقة فإن عدداً من اللوحات التي عثر عليها في بوهين تؤكد وجود مائات مصرية مستوطنة لمدة طويلة أيام الدولة الوسطى في النوبة ، ليس فقط لأنهم يحملون أسماء مصرية ولكن لأنهم أيضاً أحضروا معهم معبوداتهم المحلية ، بالإضافة إلى تقديمهم لمعبودات المنطقة المحلية. (راجع المصدر السابق؛

(Breasted A.R.I. 519—20; Newberry & Griffith, Beni Hassan I, pl. VIII.)

وبالإضافة إلى نقش بوهين هناك أخبار ثلاث حملات أخرى قام بها حاكم الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا (بنى حسن) إلى النوبة لحساب فرعون الأولى حرية والثانية والثالثة لإحضار المعادن واستخراج الذهب. Breasted A.R.I. 88, 520, 521. وهناك لوحات تشير إلى أن قلعتى بوهين وكوبان (وربما غيرها من القلاع) قد تم إنشاؤها فعلاً أيام سنوسرت الأول وذلك ضمن أربعة عشرة قلعة أقامها ملوك الدولة الوسطى في النوبة

السفلى لتأمين الحدود وتسهيل سبيل المرور والحماية لبعثات التعدين والتجارة، وقد أقيم في كل قلعة معبد صغير من الطوب اللبن الذى استبدل بالحجر في الدولة الحديثة . وفي منطقة الشلال الثانى أقيمت القلاع متجاورة بحيث يمكن لبعضها مؤازرة البعض الآخر في حالة الضرورة ولم يمكن في القلاع إلا أعداداً قليلة من الجنود ، كانوا يكلفون أيضاً بسحب وحماية القوارب أثناء مرورها بين صخور منطقة الشلالات هناك، هذا بالإضافة إلى عملهم الأساسى وهو حماية الحدود . أما الموجود من القلاع في المنطقة ما بين الشلال الأول ووادى حلفا فكان الغرض منها ضمان السيطرة على أصحاب حضارة المجموعة الثالثة خشية إثارة الإضطرابات على حدود مصر الجنوبية وقد عثر في مقبرة من أواخر الدولة الوسطى تحت معبد الرمسوم بطيبة على بردية تحمل قائمة بأسماء القلاع الأربعة عشرة المذكورة :

(Arkell, History p., 62 ff; Budge I, 539 ff.)

الفصل الثالث

دولة كوش

ويدور الزمن دورة وتنتهي حلقة أخرى من حلقات التطور في الشمال ، وتسقط الدولة الوسطى في مصر بدخول الهكسوس الآسيويين عام ١٧٣٠ ق.م. ومهما قيل عن مدى انتشار نفوذهم في الجنوب فإن الوثائق تؤكد أن كوش كلها قد أصبحت تكون دولة موحدة مستقلة خلال المائة وخمسين عاما الواقعة ما بين سقوط الدولة الوسطى وقيام الدولة الحديثة (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق م) سميت باسم دولة كوش وكان على رأسها حاكم من أهلها عرف في المحيط الدولي حينذاك باسم حاكم كوش يقف على قدم المساواة مع الدولتين اللتين اقتسمتا شمال الوادي، وهما دولة الهكسوس وتسيطر على كل من الدلتا ومصر الوسطى ، ودولة المصريين ومقرها طيبة والتي سميت فيما بعد بالأسرة السابعة عشرة التي امتدت من أسوان جنوبا حتى القوصية في مصر الوسطى شمالا. ولعل استقلال كوش في تلك الفترة يفسر سبب انتشار العناصر المميزة للحضارة كريمة في منطقة حضارة المجموعة الثالثة في آخر مراحلها .

والوثائق القليلة من أواخر العصر الإضمدحالي الثاني التي تمحدثنا عن قيام تلك الدولة في شمال السودان حتى الآن كلها مصادر مصرية :

١ — أهمها لوح كاموسي ثاني ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية الذين رفعوا راية الثورة على الهكسوس (انظر احمد بدوي في موكب الشمس الجزء الثاني ص ٣٥٥/٣٥٤ ؛ Lacau Ann. du Serv. 39, p. 254, pl. 37/38 مضافا إليها ما يبدو أنه نسخة أخرى مكتوبة على اللوح المدرسي المعروف بلوح كارنارفون Gardiner, JEA 3 p. 95 ff pl XII, XIII وفيه تأكيد لوجود دولة مستقلة في كوش ، حدودها الشمالية عند الفنتين ، وفي اللوح يسجل كاموسي كيف جمع رجال بلاطه ليستشيرهم في الموقف السياسي ، فيقبلون عليه بمجدين قوته ، ويرد عليهم بقوله « وما فائدة قوتي

طالما هناك أمير في أواريس وآخر في كوش وأنا أجلس هنا بين آسيوى وبين جنوبي ، وكل واحد منهما يمتلك جزءاً من مصر ويقتسمان البلاد معي .

٢ — ومن حسن الطالع أن نثر حديدنا على لوح آخر : — Säve Söderbergh, Kush IV 54—61 عليه نص ربما كان تكملة لذلك للوجود على لوح كاموسى المذكور ، ويشتمل على معلومات ذات قيمة عن الدور الذى كان يلعبه حاكم كوش فى ذلك الوقت ، وعن مركزه بين غيره من الحكام الذين تقاسموا الملك فى وادى النيل ، وهنا يحدثنا كاموسى أنه استطاع أن يأسر مبعوث ملك الهكسوس وهو فى طريقه جنوباً يسعى إلى حاكم كوش « على طريق الواحة » ، أما الرسالة التى لاشك أنها كتبت بالمصرية والتى حملها الرسول فقد دونت بنصها على اللوحة التذكارية وفيها صورة من صور الدبلوماسية التى كانت سائدة حينذاك . فبعد المقدمة بما فيها من تحية نجد ملك الهكسوس يعاتب حاكم كوش بقوله « لماذا لم تحطنى علماً عندما أصبحت حاكماً » ثم يدخل فى صلب الموضوع طامعاً فى كسب حاكم كوش إلى جانبه فى صراعه المرتقب مع المصريين فى طيبة « حتى يمكن اقتسام مصر بيتنا » كما جاء فى الرسالة ، ومن وجهة نظر المؤرخ فإن خليفة حاكم كوش المقصود فى الرسالة ، قد وقف على الحياد ، هذا إذا لم يكن قد انحاز إلى جانب المصريين ، وذلك ظاهر من وجود قوات مساعدة من النوبة مع القوات المصرية فى نهاية مرحلة صراعها لطسرد الغزاة من وادى النيل .

٣ — وفى المرتبة الثانية من الأهمية يأتى لوحان عثر عليهما فى بوهين :

(١) الأول فى متحف الخرطوم يحمل رقم ١٨ ويخص الموظف « أباح وسر » ويدعى أنه كان فى خدمة الحاكم الكوشى فيقول : « كنت خادماً شجاعاً لحاكم كوش ، ولقد غسكت قدمي فى مياه كوش (دليلاً على الولاء) أثناء مرافقة الحاكم . . . ثم عدت لأسرتى سالماً معافياً » وقد اتفق على أن هذا اللوح يرجع إلى أيام الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع ضد الهكسوس . وفى هذا النص يؤكد الموظف أباح وسر — الذى يعتقد أنه من أصل مصرى ، إخلاصه لحاكم كوش الوطنى ، ولا شك كذلك أن عودة هذا الموظف من رحلته مع حاكم كوش كانت إلى بوهين حيث أقام هذا اللوح .

(ب) أما اللوح الثانى الذى عثر عليه فى بوهين فصاحبه يحمل اسم سيد حور قد كان فى خدمة حاكم كوش المستقل (متحف فيلادلفيا رقم ١٠٩٨٤. Mac—Iver and Wolley, Buhen, p. 113) ويرجع تاريخ هذا اللوح إلى نفس العصر السابق . ويتباهى سيد حور بأنه كان قائداً فى بوهين وأنه قام ببناء معبد للإله حورس هناك « ليسر به حاكم كوش » ، وقد يظن هنا أن المقصود «بحاكم كوش» هو «ملك مصر» أيام الدولة الحديثة إلا أنه ما دام المؤكد أن « حاكم كوش » فى اللوح الأول يقصد به فعلاً الحاكم المحلى لدولة كوش ، وحيث أن اللوحين ينتميان إلى نفس المجموعة، فليس هناك ما يمنع من اعتباره المقصود أيضاً «بحاكم كوش» فى اللوح الثانى . وبناء عليه يمكننا القول بأن «حاكم كوش» المحلى كان يستعين بعدد من المصريين للخدمة فى دولته التى امتد سلطانها على كل منطقة سهل كومه ثم شمالاً حتى الفتتين عند حدود مصر الجنوبية أيام الدولة القديمة . والظاهر أيضاً أن تلك الدولة المستقلة ازدهرت وعاشت أكثر من جيل وكان حكامها يتمتعون بمنزلة رفيعة فى وادى النيل .

ومن المؤسف حقاً أن آثار السودان فى تلك الفترة (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق م) لم تمدنا بمعلومات تاريخية تستحق الذكر، فلم نثر لأصحاب تلك الحضارة بعد على آثار مكتوبة وإنما جمل اعتمادنا على المصادر المصرية القليلة التى تمدتنا باختصار عن تلك الحضارة ، ثم على نتائج علم الآثار والدراسات المقارنة لخلفات أهل البلاد . وفى الواقع أن حملة إنقاذ آثار بلاد النوبة قد أمدتنا وسوف تمدنا بمعلومات أوفى وأدق عن تفاصيل تلك المرحلة وخصوصاً عندما تظهر التقارير الكاملة لأعمال الحفر التى اشتركت فيها البعثات من مختلف الدول .

ولما انتهى الأمر فى مصر بطرد المكسوس نطلع ملوك مصر إلى تأمين الحدود الجنوبية ، فاتجهوا إلى إعادة إرتياد النوبة وتأمينها ويستند البعض Arkell History, p. 80. ٤٤ أن ذلك قد بدأ فعلاً منذ أيام كاموسى آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة معتمدين على حقيقة تسجيل اسمه بجانب اسم خليفته أحموسى على إحدى الصخور عند إرمنا شرق

Erminna—East وتوضح الأمور التي حدثت في النوبة على يدى أحوسى هذا أكثر فأكثر ، والظاهر أنه وصل حتى بوهين وسيطر على المنطقة ما بين الشلالين الاول والثانى فقد ادت الحفائر التي أجريت تحت معبد أمينوفيس الثانى فى بوهين بعد نقله إلى العثور على عتب لأحد الأبواب يحمل اسم أحوسى من بقايا معبد أقامه الملك خارج أسوار القلعة التي أنشأها ملوك الدولة الوسطى من قبل ، ومن هنا يتضح أنه ربما قام أيضا بتوسيع القلعة لكي تضم معبده الجديد . وبالإضافة إلى ذلك عثر على جزئين لتمثال أحوسى فى جزيرة صاى وكذلك نقش يحمل اسم الملك واسم زوجته هناك .

J. Vercoutter "New Egyptian texts from the Sudan", Kush IV, 66—82.

J. Vercoutter "Excavtions in Sai 1955 — 7" Kush VI, 144—169.

أما السجل الواقع لأعمال أحوسى الحرية فى جنوب الوادى فقد أمدنا به أحد رجاله المخلصين وهو أمير الأسطول أحوسى بن إباننا وذلك مسجل على جدران مقبرته بمدينة الكاب Breasted A.R, II, 39 فيذكر أنه أبحر جنوبا مع الملك إلى مكان يدعى « خنت — حن — نوفر » ، ولا شك أنه إسم أطلق على مكان ما من بلاد النوبة، وذكر أن ساكنى المنطقة هم « اليونوبجتيو » وهم النوبيون أصحاب الأقواس وهو اسم طام، ربما قصد به قبائل البجا أسلاف البشاريين الحاليين . ويستطرد صاحب السجل فيقول أن موقعة كبيرة قد دارت بينهم مما يدل على ضخامة القوات التي حاربها أحوسى، ورغم انحصار أحوسى فى هذه المعركة فإن الثورة قامت من جديد تحت زعامة أمير محلى يدعى آآتى كان يمتلك أسطولا نهريا ، حينئذ خرج له أحوسى وتلاقيا عند تلت — تا Tint-ta وهو مكان تكثر فيه المياه ولا تكاد تعرف مكانه على وجه التحديد ، وهناك أخذ الأمير أسرا ومعه كل أفراد عشيرته . ولم يستقر الأمر لأحوسى بعض القضاء على تلك الثورة كما كان يمتنى ، وإنما تبع ذلك قيام أمير محلى آخر بالثورة ، وقد كان ذلك الأمير يحمل اسماً مصرياً هو تقي — عن (تق الجليل) ، ولا شك أن حمل الأسماء المصرية من هذا القبيل إنما يرجع إلى تمصر الخاصة من أهل كوش نتيجة للعلاقات المستمرة مع

أهل الشمال في مصر : وبعد أن جمع تقي — عن من حوله نفرا من الاتباع
التأثرين تصدى له أحوسى « وقتله وفرق شمل جماعته » .

وانتهت أيام أحوسى الأول . إلا أن سجل أمير الأسطول أحوسى
ابن إباننا « يستمر في ذكر حوليات الملك أمينوفيس الأول في الجنوب
فيقول : « ان جلالة البحر جنوباً إلى ككوش ليوسع حدود مصر »
Breasted A.R., II, 39 If, Sethe Urk IV, 6, If ومعنى ذلك ان
كل ما فعله الملك سنوسرت الثالث أيام الدولة الوسطى في بلاد النوبة قد
ضاع . « وضرب جلالة قائد الجيش الكوشى » وفي هذه الإشارة ما يؤكد
الاعتراف بوجود جيش للدولة كوش على رأسه قائد محلي ، ويستطرد النص
فيقول : « وبعد أن ساق كل قومه مع قطعانهم عاد الملك مبحراً إلى مصر في
رحلة استغرقت يومين » ، ولعل تلك الحملة هي نفسها التي أمر أمينوفيس الأول
بتسجيلها على الصخور عند أورو تارتى والتي وقعت في العام الثامن من حكمه .

وفي أقوال أحد أمراء إقليم الكلب المدعى حورمين Sethe, Urk IIV p. 77
من ذلك العهد ما يشير إلى أن إقليم الكلب قد اتخذ المركز القديم الذي كان
لأسوان من قبل ، ذلك أن حاكم الإقليم الثالث من أقاليم الصعيد هذا قد
أصبح مشرفاً على أقاليم الجنوب فيما وراء الشلال الأول (أنظر أحمد بدوى
في موكب الشمس الجزء الثاني ص ٣٨٧ ، ٣٨٨) وقد عثر في جزيرة
صاى على لوحة هامة في داخل القلعة وعليها الألقاب الملكية للملك أمينوفيس
الأول كاملة Vercontter Kush IV, p. 75 كما عثر هناك أيضاً على
لوحتين صغيرين يحملان اسم نفس الملك وكذلك على تمثال لنفس الملك
أيضاً (أنظر نفس المرجع السابق ص ٧٧ — ٧٩) وكل ذلك يؤكد
بما لا يدع مجالاً للشك بأن أمينوفيس الأول قد بلغ في تقدمه جنوباً حتى
صاى وأنه عمر هناك .

وكانت مهمة تحوتمس الأول (١٥٣٠ — ١٥٢٠ ق . م) هي إتمام العمل
والعقد إلى ما وراء الشلال الرابع عند Kurgus ويحدثنا أحوسى بن إباننا
المسالف المذكور أن تحوتمس الأول قد واجه ثورات في بلاد النوبة ، فركب
للنيل مصعداً إلى خنت — حن نوفر وهو نفس المكان الذي ذهب إليه

أحموسى الأول من قبل ، وذلك ليقوم بالقضاء على الثورة في تلك البلاد ،
 وليضع حداً لجرأة أهلها Sethe, Urk. IV, 8, 36. وقد استطاع
 الأسطول بشق الأنفس الخروج من منطقة الشلالات إلى سهل كرمه حيث
 الوطن الأصلي للأمير المحلي ، وهناك قامت معركة كبيرة سقط فيها قائد
 الجيش الكوشى وسيقت جماعته أسرى . ومن هذه المعركة يحدثنا أحد رجال
 الملك ويدعى أحموسى الكابى وكذلك أحد الآثار الملك عند Tangur في
 منطقة بطن الحاجر Sethe, Urk. IV, S, 82, ff وكان المعتقد حتى وقت
 قريب أن تحوتمس الأول لم يتقدم جنوباً إلى أكثر من Tumbus حيث
 ترك لوح الحدود المشهور خلف منطقة الشلال الثالث Sethe, op. cit S.82.
 هناك يذكر أن أملاكه امتدت من « قرن الأرض » في الجنوب حتى أطراف
 المياه المعكوسة . وقد تردد ذكر تلك الحدود الجنوبية في النصوص التي تركها
 رجل الدولة المصرى المدعو إننى Ineni في قاعة الكرنك Breasted AR, 101
 II, الذى عاش منذ زمن أمينوفيس الأول حتى أيام تحوتمس الثالث ،
 وكذلك عثر على أثر لتحوتمس الثانى في أسوان Breasted AR, II, 119
 22; Sethe Urk IV, p. 139 وفي الحقيقة ، لا نستطيع تحديد المكان
 المقصود بكلمة « قرن الأرض » التي تكرر ذكرها في تلك النصوص
 باعتبارها تمثل أقصى الحدود الجنوبية للتقدم المصرى أيام الدولة الحديثة .
 ولقد أثبتت الأبحاث حديثاً وجود نقش آخر للحدود عند Kurgus
 إلى الجنوب من أبى حد — راجع Arkell JEA, XXXVI p. 36ff حيث
 نهاية الطريق الصحراوى الذى يبدأ عند كورسكو أو كوبان في
 التوبة السفلى ويختصر المسافة بهجنب المرور في منطقة الشلالات الثانى
 والثالث والرابع ، هناك على إحدى الصخور صور تحوتمس الأول على هيئة
 الأسد أمام المعبود آمون رع . ولا يستبعد أن بقايا القلعة القديمة الموجودة
 بالقرب من النقش السابق ذكره عند Kurgus قد بنيت زمن الملك
 تحوتمس الأول .

وفي حجر المروا Hagar-el- Marwa عثر على اسم الملكة زوجة
 تحوتمس الأول مسجل على إحدى الصخور ضمن نقوش أخرى يحمل
 بعضها اسم تحوتمس الأول .

الفصل الرابع

كوش تستعد لدور قيادي في وادي النيل

(١٥٨٠ — ٧٥٠ ق . م)

أثر الحضارة المصرية :

يستطيع من يتتبع أثر الحضارة المصرية وانتشارها في بلاد النوبة وشمال السودان أن يرى خطوات من التقارب والاقتراب تبسداً من طبقة الأمراء المحليين ، وبعدها يسعى العامة أيضاً للأخذ بأسباب تلك الحضارة المتقدمة . وفي نهاية العصر الوسيط الأول ظهر لنا أن السود التي كانت تفصل بين حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة بدأت تزول تدريجياً عندما تكونت في السودان الشمالي حكومة محلية مركزية موحدة . فنجد أصحاب حضارة المجموعة الثالثة في مرحلتها الأخيرة يفتهمجون الأسلوب المصري في دفن موتاهم فبعد أن كان المألوف أن يوسد الجسد على جانبه الأيمن بينا الرأس في اتجاه الشرق بحيث يتجه الوجه إلى الشمال Junker Ermenna p.15. نراه الآن يدفنون موتاهم بحيث يرقد الجسد على جانبه الأيسر والرأس ناحية الشرق على الطريقة المصرية السائدة في ذلك الوقت (أنظر نفس المرجع السابق ص ٤٩) .

ومع إعادة الاتصال أيام الدولة الحديثة أخذت تظهر في شق أنحاء النوبة وشمال السودان عناصر مصرية عرفت طريقها إلى أهل المنطقة ، ولم يكد عصر تحوتمس الثالث يبدأ حتى اختفى الشكل المحلي المعروف للمقابر ، فبدلاً من الكوم القديم Tumulus انتشرت المقابر المصرية الشكل والتصميم : فن مقابر صخرية إلى مقابر على شكل أهرامات صغيرة كالتى عرفت في دير المدينة بطيبة :

(A. Lhote, Les Choix-D'Oeuvre de La Peinture Égyptienne, Paris 1954, Pl. 170.)

وأصبحت المراكز الحضارية مثل عنية وبوهين وغيرها تشبه في مظهرها إلى حد كبير المدائن المصرية ، هذا مع العلم بأن النزعة إلى تقليد العادات المصرية التي أصبحت طابع ذلك الزمن قد جعلت مهمة الباحث الحديث غاية في الصعوبة حيث تعذرت التفرقة بين ما هو مصرى وما هو من أصل محلى . فالباحث في مخلفات حضارة ذلك العصر يعثر في المقابر على التوابيت والتماثيل الصغيرة التي تعرف باسم المجاورين والتي كان الغرض منها في عقيدة المصريين أن تقوم مقام صاحب المقبرة للعمل في حقول أوزيريس ، كل يوم في العالم الآخر فمتدما يطلب منها ذلك عليها أن تجيب ثداء أوزيريس وبلغ عددها في بعض المقابر ٣٦٥ تماثلاً صغيراً بعدد أيام السنة المصرية ، كما عثر على جعارين وتماثيل وأوان مصرية وغيرها مما يطول تعدادُه من عناصر الحضارة المصرية وكان الجمل (أو الجعران) يرمز إلى إله الشمس في الصباح، فحسب العقيدة المصرية كانت الشمس تصعد إلى كبد السماء مدفوعة بواسطة جمل كبير غير مرئي كما أصبح رسم الجمل يعني « الكينوتة » أو الدوام في لغتهم .

ولكى نكون موضوعيين في نظرتنا للأمور ينبغي أن نفرق بين طبقة الحكام من الأمراء المحليين وبين عامة الشعب عند البحث في مظاهر تتغلغل عناصر الحضارة المصرية في حياة أهل كوش أيام الدولة الحديثة . وبالإضافة إلى ذلك كانت رسوم مقابر الأمراء وأممائهم ذات طابع مصرى مما يدل على أن هؤلاء القوم قد اعتبروا الحضارة المصرية القديمة مثلهم الأعلى . فلو نظرنا مثلاً إلى مقبرة الأمير حقاتر Heka—Nefer أمير عنية أيام توت عنخ آمون لوجدناها صورة من المقابر الصخرية المنتشرة في مصر وعلى الأخص في طيبة :

(W. Kelly Simpson, Heka—Nefer, Publications of the Pennsylvania—Yale Expedition to Egypt, No. 1, New Haven and Philadelphia 1963.)

ولهذا الأمير أهمية خاصة بالنسبة لدراستنا فنحن نعرفه من قبل من خلال رسوم الجزية المصورة في مقبرة حوى نائب الملك في كوش أيام توت عنخ آمون ، هنالك صور الأمير حقاتر في مقدمة الأمراء المحليين الذين حضروا

لتسليم الجزيرة السنوية، وإلى جانب صورته الملونة تلويها صادقا أضاف الفنان اسم الأمير دون سائر الأسماء المرافقين . وعند فحص مقبرة هذا الأمير في عنية نجد فوق مدخل المقبرة مباشرة مقصورة صغيرة تحتوي على لوحة منحوتة في الصخر وأمامها مكان يتسع لوقوف الزائر وعلى جانبيها قواعد لوضع التماثيل وهي في مجموعها تشبه التفاصيل الموجودة في مقابر دير المدينة، ومن أجل ذلك افترض William K. Simpson وجود هرم من نوع أهرامات دير المدينة كأن مقاما فوق المقبرة قبل أن تقضى عليه عوامل التحرية، أما تصميم المقبرة من الداخل فهي تعتبر صورة من مقابر طيبة أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة . . فبعد المدخل ذي النقوش يوجد بئر ثم قاعة بها مشكاة ثم قاعة أخرى على امتداد المحور بها أربعة أعمدة مربعة وفي أرضيتها فصحة عميقة توصل إلى غرفة الدفن . وقد غطيت جدران القاعة الأولى بالطين ثم طليت بالحصص وبعدها رسمت وزينت بالمناظر المألوفة، وقد أمكن بصعوبة التعرف على هذه المناظر ولقد يبدو أنها من عمل فنان من طيبة من أولئك الذين أسهموا في تجميل معبد عنية الذي يقع في نفس المنطقة . وبالإضافة إلى طراز القبر فإن ما أمكن العثور عليه بداخله من الآثار ليقوم دليلا آخر على تطفل عناصر الحضارة المصرية بين أولئك القوم حتى في أشد خصوصيات الشعوب، وتقصد بذلك المقابر. وفي طريقة الدفن عثر مثلا على أربعة تماثيل صغيرة — تماثيل الجبابير بالإضافة إلى أوان من الألبستر وبقايا عقود زينة .

وهناك غير مقبرة حقانفر مقبرة خاصة بالأمير جحوتي حنب أمير ديرا أيام حتشبسوت (Wild, Kush VII, p. 76) وتعتبر صورة طبق الأصل من مقابر طيبة، هذا بالإضافة إلى أن أسماء صاحب المقبرة وزوجه كلها مصرية إلا أن والديه يحملان أسماء محلية، وواضح من ذلك إلى أي مدى وبأي سرعة أخذ أهل كوش بمظاهر الحضارة المصرية .

ومن أم المصورات المسجلة لمناظر مواكب تقديم منتجات كوش وجزيرتها في الدولة الحديثة تلك الموجودة في مقابر نواب الملك في كوش والمنحوتة بالبر الغربي بعلية وفيها مصادر وفيرة تبين مدى التأثير المستمر لعناصر الحضارة

المصرية على أهالى تلك البقاع من أرض كوش . وإذا تجاوزنا عن بعض التفاصيل يمكن القول بأن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية يرتدون الأزياء المصرية ، ويلاحظ أن رجال البلاط والأنبساط يلبسون أيضا أزياء مصرية ، إلا أن ما سبق في أعقابهم من أعداء قد احتفظوا بزيتهم الخاص ولم تؤثر فيهم حضارة مصر ربما لعدمهم عن مراكز تلك الحضارة التي وقفوا منها موقف العداء . كل ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الحضارة المصرية قد وجدت سبيلها إلى كوش على يد أولئك الأمراء وأتباعهم .

وكان للفنانين المصريين دور كبير في نشر الفنون ذات الطابع المصرى في ربوع كوش فكثيراً ما وفدوا إلى كوش في مهام رسمية للإسهام في إقامة المنشآت المعمارية العديدة . وتذكر النصوص المسجلة على إحدى اللوحات التي عثر عليها في كوة أن فتاني منف هم الذين أسهموا في بناء معبد كوة ، كما أسهموا في بناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل البركل ، ولا شك أن هؤلاء الفنانين المهرة قد ساعدوا على خلق جيل من الفنانين المحليين الذين أخذوا يشاركون في تطوير الفنون المحلية ، وظهرت نتيجة هذا الاتصال فيما نراه من الآثار التي عثر عليها في المقابر كأدوات الزينة والأثاث والملابس والأواني .

وبدراسة مقارنة لمنتجات كوش المسجلة على جدران مقابر الدولة القديمة من قبل ثم من بعد عصر العهدة يتضح لنا مدى التقدم الذي أحرزه الفنانون المحليون ، فبالنسبة لفترة ما قبل عصر الممصرية تأخذ المصورات والرسوم المسجلة على جدران مقبرة آمون موسى على سبيل المثال JEA 26, pl. 23f and Wreszinski. Atlas 1, 285 ومقبرة رعمسيس ، ويلاحظ أن أغلب ما تقدمه كوش إنما يمثّل في المواد الخشبية . أما فترة العهدة وما بعدها والمثلة على جدران مقبرة حوى ومقبرة قن آمون خير تمثيل فتيين من خلال رسومها مدى التقدم الذي أحرزته كوش في مختلف الفنون اليدوية مثل صناعة الأثاث والمجالات ومراوح ريش النعام والأقواس والدروع .

وبطبيعة الحال استمر عدد من القوات المصرية مقبلاً بالبلاد بعد

الفتح للإشراف على حفظ الأمن كما استدعت الأمور الاستعانة بعدد من رجال الإدارة المدربين من مصر للعمل في المراكز الحضارية ، فعملوا على إنشاء جهاز إدارى منظم على نمط ما كان موجوداً بمصر في ذلك العهد ، وكان من نتيجة ذلك أن استقر عديد من العائلات المصرية في تلك المراكز الحضارية .

ولقد بدأت تلك المحلات الحضارية تغير من طبيعتها مع بداية الدولة الحديثة عندما انتقلت الحدود جنوباً حتى الشلال الرابع ، فقدت القلاع القديمة أهميتها وبدأت تتخذ شكل المدن الكبيرة حيث استخدمت حصونها القديمة لحفظ كنوز معبد المدينة ، وبالإضافة إلى المراكز الحضارية القديمة أنشئت مدن جديدة وكان الغرض منها المساهمة في ازدهار التجارة ، فعملت كأسواق لتبادل منتجات مصر وكوش . فعلى الجانب الغربى للنيل عند الدكة في مواجهة قلعة كوبان قامت محطة حضارية مأهولة بالسكان أيام الدولة الحديثة كما أثبت فيرث عندما قام بحفائره هناك ، وتحولت قلعة كوبان إلى مدينة مفتوحة (مجلة اليونسكو يناير ١٩٦٥ ص ٨٠٧) ولقد عثرت مصلحة الآثار المصرية على معبد للإله حورس في كوبان يقع تحت طريق الكباشى الخاص بمعبد الدكة وذلك عند فك المعبد الأخير تمهيداً لإتقاده ، أقامه تحتمس الثالث وهكذا أظهرت الصدفة ذلك المعبد الذى كثيراً ما أشارت إليه الآثار من قبل والذي خصصه تحتمس الثالث لعبادة الإله حورس القائم على الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب في تلك المنطقة . وهناك أيضاً قام رمسيس الثانى ببناء معبد له .

كما أصبح لعنيبة عدة ضواحي بعد أن اتخذت شكل المدينة المحصنة . وفي «فرص» بنيت معابد لكل من الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث والملك توت عنخ آمون من ملوك الأسرة الثامنة عشرة . كما تدل النقوش التى عثر عليها فى «تحنوت» — «سيرا» على أن تلك البقعة كانت مقراً لأسرة محلية حاكمة . وازدهرت بوهين كذلك واتسع نطاقها . أما فى منطقة الشلالات حيث القلاع التى أقامها ملوك الدولة الوسطى ، فظهرت مجموعة من المعابد الصغيرة . وفى المنطقة الاسقراطية الهامة ما بين وادى حلفا وكرومة على الجانب الغربى أقام ملوك الدولة الحديثة عدداً من القرى المحصنة فى عمرة الغرب ، وصاى ،

وسدنجاء، وصوليبي، وسيسي كان الغرض منها حماية المنطقة من غارات القبائل التي كانت تقطن الصحراء الغربية وتهدد بين الحين والحين بقطع طرق المواصلات والتجارة . كما قام أمينوفيس الثالث بتأسيس مدينة كوة بمعبدها الشهير في نفس المكان ، وهناك أيضاً أقام توت عنخ آمون معبداً . ولعل ذكر نبته كدبنة محصنة تقع في أقصى الجنوب أيام أمينوفيس الثاني هو أول ذكر لها في التاريخ المصري القديم (انظر لوحسة عمدا في Urk IV, 1297, 15.)

وحتى الآن تشير أقدم آثار البناء في كوة إلى أن تحتمس الرابع كان أول من أقام بناء في تلك المنطقة، كما أن اللوحة الكبيرة التي عثر عليها هناك في الموقع ٥٠٠ ب إنما ترجع إلى زمن تحتمس الثالث وفي عمدا أقيم معبد اشترك في تشييده كل من تحتمس الثالث وأمينوفيس الثاني وتحتمس الرابع (Gauthier Amada, 191) وعند الدر تم بناء معبد آخر : أما معبد كلايشة فأغلب الظن أنه شيد أيام أمينوفيس الثاني ولاشك أن سلسلة المعابد الصخرية في بيت الوالى وجرف حسين ووادي السبوع والدر وأبو سمبل التي أقامها رمسيس الثاني في منطقة النوبة السفلى إنما تشير إلى المحاولات الجدية لنشر الحضارة المصرية في ربوع تلك البلاد . فقد قامت تلك المراكز الحضارية التي انتشرت في منطقة كوش بدور الوسيط في نقل نماذج ملبوسة من نتاج الحضارة المصرية المتطورة لتكون في متناول أهل البلاد .

وقد عثر على كثير من السلع المصرية منتشرة في مقابر أهل تلك المنطقة جلبها إليهم التجار المصريون الذين شاركوا بتصيب في نشر الحضارة . ولقد قامت المعابد بدور كبير في نشر العقائد والثقافة المصرية . وكانت المعبودات الطيبية هي أوسع للمعبودات انتشاراً في كوش حيث أصبحت نبته مثل طيبة ، مقرأ رسمياً لمعبود الدولة آمون رع الذى قدس هناك باعتباره وسيد الوجهين للقائم على جبل نبته المقدس ، وقد لعبت عقيدة حورس دوراً كبيراً أيضاً حيث انتشرت في الجزء الشمالى من كوش ، فيبين الحين والحين تقابل الإله حورس في كوربان ، وحورس في عنبية وحورس في أبو سمبل ثم حورس في بوهين . هذا وقد استمر تقديس الثالوث القديم لمنطقة الشلال الأول وهو خنوم ساتنيس .

عنوقيس ، ولكن هذا الثالث لم يظهر في العابد على اعتبار أنه ضمن الآلهة الرئيسية للبلاد . أما عادة تقديس الملوك فكان لها شأن كبير في كوش وعلى سبيل المثال اعتبر الملك سنوسرت الأول والملك سنوسرت الثاني ، وكذلك تحتمس الثالث وأمينوفيس الثالث وتوت عنخ آمون ورمسيس الثاني حراساً للبلاد .

وهكذا نجد أن انتشار العقائد المصرية في كوش قد مهد لانتشار الحضارة المصرية ، والواقع أن سياسة الدولة الحديثة تجاه كوش كانت تهدف إلى التعاون مع أهل البلاد فسمح للأمرء المحليين أن يستمروا في حكم مقاطعاتهم ومدنهم كما كان يسمح لأبنائهم بأن يتربوا في القصر الملكي مع أولاد الملك ليألفوا الحضارة المصرية .

فبعد أن ضمت كوش إلى مصر ثانية في أوائل أيام الدولة الحديثة وضع للبلاد نظام إداري على غرار ما كان موجوداً في مصر ، فأصبحت البلاد يقسمها وادوات وكوش تحت إشراف أحد كبار رجال الدولة ، وكان يختار من بين رجال الدولة المصريين ولم يكن من الأسرة المالكة ويحمل لقب نائب الملك في البلاد الجنوبية ، ثم أصبح يلقب بنائب الملك في كوش . وبلا حظ أن معظم من حملوا هذا اللقب أصلهم من طيبة . وقد تركوا لنا آثاراً عديدة وبخاصة في دائرة عملهم ، بعضها عبارة عن نقوش صخرية وبعضها تماثيل ولوحات ، وأحياناً أخرى تركوا مقاصير كاملة كما هو الحال في قصر إبريم وجبل الشمس .

(L. Habachi. Kush VII, pp. 45—62; Porter—Moss VII, 92—3 and p 132)

وطبقاً لعادات المصريين فإن مسألة إقامة المقاصير ودور العبادة بأنواعها كانت وقفاً على الملوك وأفراد أسرهم ولم يكن لتماثيل الأفراد محل في ديار المصريين إلا في المقابر . ولم يحدث في تاريخ مصر القديم خروج على تلك القاعدة إلا في حالات معينة وبأمر الملك في حدود معلومة كما هو الحال مثلاً بالنسبة لايمحتم أيام زوسر في الأسرة الثالثة، ثم عندما منحت الملكة حتشبسوت

وزيرها ومهندسها ستموت الإذن بإقامة تمثاله في معبدها بالدير البحري بطيبة. إذن إقامة مقاصير العبادة بواسطة نائب الملك في كوش إنما تشير إلى مدى النفوذ المطلق الذي منحه الملك المصري لشاغل ذلك المنصب . وينبغي أن نقرر أن اسم الملك قد ظل يحتل مكان الصدارة بين نقوش تلك المقاصير دون سائر أسماء المعبودات المصرية التي عودتنا نقوش النوبة ذكرها . كما لم يرد ذكر لأسر أولئك الحكام بين نقوش تلك المقاصير .

وكان إشراف نائب الملك في كوش يشمل المنطقة الواقعة جنوبي مصر التي امتدت من الكاب شمالاً حتى نبتة جنوباً وربما إلى أبعد من ذلك . ونمت أمرته العاملون في الجهازين العسكري والإداري وعلى رأسهم قائد الجيش وكان يلقب برئيس فرق الرماة يليه اثنان من المستشارين يختص أحدهم بالجزء الشمالي «واوات» والآخر بالقسم الجنوبي المدعى كوش . ويضاف إلى واجباته الإشراف على جميع شئون البلاد وتقديم الجزية في ميقاتها المعلوم، فيقوم نائب الملك في كوش برئاسة الوفد المرافق للجزية ويشرف بنفسه على تسليمها لوزير الخزانة في احتفال كبير يحضره عدد من الأمراء المحليين الذين يقدون في صحبة نائب الملك إلى طيبة . ولحسن الحظ فقد سجلت تلك المهرجانات مراراً على جدران مقابر كبار الوزراء أيام الدولة الحديثة باعتبارها من الأحداث الهامة في حياتهم .

ورغم أن غالبية أسماء من تولوا هذا المنصب المخطير المصرية الجرس ، فليس من المستبعد أن يكون بينهم أحد أبناء البلاد المحليين الذي ربما استطاع بمهارته وحسن ولائه أن يتبوأ ذلك المنصب الهام . وسوف نعود للحديث عن ذلك الموضوع فيما بعد .

وقد يكون من المستحسن أن نستعرض أسماء من حملوا لقب نائب الملك في كوش منذ ظهوره ، ولعل أحدث ما كتب عن هذا الموضوع ما ظهر في مجلة كوش :

(L. Habachi, Kush VII, 45—62; J. Cerny, Kush VII, 71, 75; Arkell History p. 97 f.

وبعد إضافة الإصحين اللذين عثر عليهما حديثاً في أرمناء شرقاً ، وكذلك
الاسم الذي عثر عليه بعثة جامعة هومبولد يمكننا أن نورد القائمة التالية بأسماء
نواب الملك في كوش :

Teti	تي	زمن الملك كاموسى
Djehuty	ججوتى	» » أحوسى
Sa—Tajyt	ساتيت	» » أحوسى
		» » امينوفيس الأول
Thuwre	توير	وتحتس الأول
Seni	سنى	زمن الملك تحتس الأول والثانى
		» » حتشبسوت
Nehi	نحى	وتحتس الثالث
Amen-em-nekhu	آمون-أم-نخو	» » حتشبسوت
Weser-satet	وسر ساتت	» » امينوفيس الثانى
		» » تحتس الرابع
Amenophis	امينوفيس	وامينوفيس الثالث
Mer-mose	مروسى	» » امينوفيس الثالث
Tuthmosis	تحتس	» » امينوفيس الرابع
	حوى — امينوفيس	» » توت عنخ آمون
Hay-Amenophis		
Paser I	باسر	» » آى وحورعصب
		» » سيقى الأول
	امينوفيس بن باسر الأول	ورميسس الثانى
Amenophis		
		» » سيقى الأول
Yuni	يونى	ورميسس الثانى
Heqanakht	حقانخت	» » رميسس الثانى

زمن الملك رمسيس الثاني	باسم الثاني	Paser II
» » » »	ستاو	Sethaw
» »	مرنبتاح وامينموسى (١)	Messuwy
» »	مرنبتاح سيتاح	Seti
» »	مرنبتاح ست نخت	Hori I
» »	رمسيس الثالث والرابع	Hori II
» »	رمسيس السادس	Siese
» »	رمسيس السابع والثامن	Nahiho
» »	رمسيس التاسع	Wentawat
	رمسيس نخت	Ramses - nakht
» »	رمسيس الحادى عشر	Pa—nobesi
» »	رمسيس الحادى عشر	Herihor
» »	حريحور	Piankhy

دور الأمراء المحليين :

واختار المصريون لإدارة كوش نظام الحكم غير المباشر ، فظل الأمراء المحليون على رأس إماراتهم طالما احتفظوا بولائهم لمصر . وقد أشارت التصوص المصرية إلى تلك السياسة السلمية منذ أن لجأت مصر إلى ضم تلك البلاد إليها لتأمينها وتأمين حدودها من غارات قبائل الجنوب ، فيذكر أحد سجلات الدولة الحديثة (Urk, IV, 139. 5) :

« إن هذه البلاد قسمت إلى خمسة أقسام وكان كل أمير مالكا لنفسه »
ولو فرضنا أن هذا التقسيم ظل معمولاً به بعد ذلك ، لأمكن اعتبار كل من جحوتى حشب « باتيس » أمير ديرا والأمير حقاتر أمير ميم « عنيبة » ضمن هؤلاء الأمراء المحليين .

معنى ذلك أن أمراء البلاد المحليين اشتركوا فعلاً في إدارة دفة الحكم أيام لدولة الحديثة كل في منطقته ، وفي نفس الوقت كان عليهم تجاه نائب الملك في كوش واجبات كان الوفاء بها دليلاً على الولاء وشرطاً لبقاء أسرة الأمير على رأس الإمارة . فبجانب الحفاظ على الأمن والقضاء على الثائرين صار عليهم الحضور على رأس وفد إقليمي مع مهرجان الجزية السنوى القادم إلى طيبة حيث يقدمهم الوزير إلى الملك . وتحدثنا الوثائق أنه قد صار اتباع تقليد إرسال أبناء هؤلاء الأمراء إلى قصر الملك ليتربوا مع أبنائه وينشأوا على ولائهم لمصر :

فعلى صفحات مقبرة « إيامو نجح » يقوم صاحب القبر بتقديم أمراء الأقاليم الجنوبية القادمين على رأس وفودهم لتقديم الجزية ، ثم يستطرد « أنهم أهدوا سيد الأرضين أولادهم » . (Urk. IV, 949) وضمن النقوش المسجلة على جدران مقبرة الوزير رمحيمع (Urk. IV, 1102) نجد إشارة أخرى عن استدعاء أبناء الأمراء إلى القصر الملكى .

وعندما كان يكبر هؤلاء الأبناء ويأتى الوقت الذى يحلون فيه محل آبائهم ، كانوا يحتفظون بالألقاب التى حملوها أيام نشأتهم فى القصر الملكى فى طيبة . وقد عثرنا على أمثال تلك الألقاب التى ظل أولئك الأمراء يحملونها رغم توليهم حكم أقاليمهم ، كاللقب الذى حمله أمير عنية :

Aniba II, 250 f.; Säve-Söderbergh, S, 185, W. K. Simpson, Heka-Nefer. Publications of the Pennsylvania, Yale, Expedition to Egypt Number 1, New Haven and Philadelphia 1963 fig. 3 & 4.

و بمناسبة ذكر عنية كمرکز لأسرة محلية حاكمة فى منطقة النوبة لابد أن نشير أيضاً إلى أريكا (Ermenne 37 & 41) ثم تحنوت « سيرا » . ففى ديرا التى كانت تتبع « سيرا » والتى تقع شرق النيل وتبعد عن وادى حلفا حوالى ٢٠ كم إلى الشمال ، عثر على قبر أحد هؤلاء الأمراء واسمه جحوتى حتب ويحمل لقب باتس حاكم تحنوت « سيرا » فى زمن الملكة حتشبسوت وقد

كان والده أيضا حاكما للمنطقة . ويلاحظ أن الأب والأم يحملان أسماء محلية بينما تحمل الزوج وأخ الأمير أسماء مصرية ، وفي هذا إشارة ضمنية إلى سرعة حركة التمسر في الفترة القصيرة التي سبقت حكم حتشبسوت والتي أصبحت طابع ذلك العصر :

Säve-Söderbergh, S. 123; Statue Khartoum No 92; R. Moss, JEA, 36, 42; H. Wild, Kush VII, P. 87.

وقد أثبتت الحفائر التي أجريت في القبر المصخري لهذا الأمير وجود شواهد أخرى تؤكد الأصل المحلي لأسرة الأمير جسوتى حب ، فبالإضافة إلى المناظر الملونة على جدران المقبرة ، والتي تمثل جانباً من جوانب الحياة في النوبة في ذلك الوقت كأعمال الحقل والرقصات الخاصة بأهل تلك البلاد ، عثر في نفس المقبرة على مسند للرأس كالذي استعمل قديماً في كل من مصر والنوبة ولكن صناعته تشبه ذلك الطابع الخاص بحضارة كريمة والمعاصرة للدولة الوسطى المصرية .

وطبيعي أن الباحث لا يستطيع أن يهمل مثل هذا الكشف ، فهو من الناحيتين التاريخية والحضارية جد خطير . فمن نعرف أن المؤرخ يسعى جاهداً للحصول على مصادر أصلية كي يتمكن من رسم صورة تقرب من الحقيقة لشعب كوش أيام الدولة الحديثة حيث أن جل اعتياده ينصب على المصادر المصرية . صحيح أننا هنا أمام مقبرة أحد أفراد الأسرة الحاكمة المحلية إلا أن بعض المناظر القليلة التي حفظتها الأيام لها صلة وثيقة بطبيعة البلاد ومادات أهلها على الرغم من الأثر الحضارى المصرى الواضح ، يضاف إلى ذلك أن الأمير قد عاش في زمن الملكة حتشبسوت — أى في أوائل عصر الدولة الحديثة .

ويبقى أن مناظر الرقصات وغيرها مما سجل على جدران تلك المقبرة تحتاج إلى المزيد من الدراسة ، فلم لا يستبعد أن يكون بعض الفنانين المصريين الذين نزحوا إلى النوبة للمشاركة في إقامة المعابر بأنواعها ، قد اضطروا بحكم طبيعة عمله أن يستوطن تلك البلاد ، وبطبيعة الحال كان عليه أن يستعين ببعض

الفنانين المحليين ، ومن هنا يمكن توقع فرص ظهور مدارس محلية جديدة تجمع بين المهارة الفنية المصرية وبين عنصر الإصالة في التعبير عن البيئة المحلية .

وربما يعترض أحدهم بأن الأمر معكوس ، أي أنه في بداية الدولة الحديثة يتوقع المرء أن يقوم فنانون مصريون فقط بأعمال الإنشاء والزخرفة لعدم وجود جيل متمرن من الفنانين المحليين ، هذا بعكس الحال بعد رسوخ الحضارة المصرية في بلاد النوبة ، مثلاً أيام توت عنخ آمون . ولكن صاحب الاعتراض ينسى أن عهد أصحاب البلاد بالحضارة والفن المصري خاصة لم يبدأ مع أيام الدولة الحديثة فحسب وإنما سبق ذلك بقرون عديدة ، فبند أيام الملك سنوسرت الثالث من الدولة الوسطى وحركة الإنشاء في مناطق النوبة تعطى لأهل البلاد النموذج الملموس للفنون المتقدمة . وقد لاحظنا ذلك أيام قيام مملكة كوش في شمال السودان بعد سقوط الدولة الوسطى وهي التي عاصرت زمن الهكسوس في شمال الوادي حينما من الدهر .

فبالرغم من انعدام المصادر الأصلية عن حضارة تلك الفترة من تاريخ شمال السودان قبل قيام الدولة الحديثة إلا أننا نفترض قيام مملكة كوش على قدم المساواة مع مملكة طيبة ومملكة الهكسوس ، وأن تكون قد أخذت من أسباب الحضارة المصرية بتصويب .

وإذا تأملنا تلك المقبرة نجد أن حائطها الشمالي تحمله مجموعة رسوم ملونة تحتاج إلى إعادة نقل صورها بطريقة أو بأخرى لكي تبدو أكثر وضوحاً ، منها أن صاحب المقبرة وزوجه قد صورا جالسين بينهما مجموعة العازنين والراقصين ، وعلى الحائط الغربي سجل مصور للطبيعة النباتية التي سادت تلك المنطقة من السودان في ذلك العصر . فترى صاحب المقبرة واقفاً وفي يده عصاه وهو يشرف على أعماله التي يقوم بها الفلاحون (Thabit H. Thabit Kush V, p. 58) ولعل أهمية هذا المنظر تبدو جلية في تصوير عدد وفير من الأشجار التي كانت منتشرة ، تصويراً قد يمكننا من التعرف عليها ودراستها ، فهناك أشجار النخيل والدوم والسنط . وجدير بالملاحظة أن تلك الأشجار ما زالت موجودة في المنطقة .

واقصد صدق الرسام في تصوير الطبيعة النباتية والحيوانية حينما صور بعض القردة تتنقل بين الأشجار. كما نلاحظ أن الفنان قد صور بعض العمال باللون الأسود وبعضهم باللون البني، ففعل بعضهم ينتمى إلى أهل الجنوب، كما تجدر الإشارة إلى تكرار تسجيل هذه الظاهرة ضمن مناظر مهرجانات تسليم الجزية والتي حفظتها لنا الأيام بوفرة ووضوح في العديد من مقابر طيبة، وبدون أن نخوض في مسائل تخص علم الأجناس، ومادما نكتفى فقط بالناحية الحضارية للموضوع، فإننا نستنتج من هذا التصوير المزدوج وجود نوعين من السكان استوطنا أرض كوش في ذلك الزمن، وأن العنصر الأسود قد شاع وجوده في البلاد إلى الدرجة التي أصبح معترفاً به، فسجلوه ضمن ما سجلوا من مناظر. ومع أن كل الرسوم المسجلة على جدران مقبرة ججوتى حثب لا تكاد تراها العين المجردة نتيجة لفعل عوامل الطبيعة، إلا أننا تكاد أن نقبل من بينها أيضاً صورة صاحب المقبرة فوق عجلته الخيرية يتقدمه أحد الجنود أو الأتباع.

وهكذا رأينا كيف شارك الأمراء المحليون في حكم بلادهم بعد أن ضمتها مصر إليها في زمن الدولة الحديثة، وساعد هذا النظام في استمرار ازدهار بيوتات الإمارة في كثير من مناطق شمال السودان، تلك الإمارات التي وصلت فعلاً إلى درجة من التقدم الحضارى منذ سقوط الدولة الوسطى وأخذت تنقل عن الحضارة المصرية طوال أيام الدولة الحديثة لتعتمد نفسها لنور قيادى في حياة هذا الوادى، تنفذ فيه الوادى كله من خطر الانهيار الحضارى وخطر الغزو الأجنبي الذى قدم من الغرب ثم من الشرق. ورغم قلة المصادر التاريخية، أمكن لرجال الآثار — حتى الآن — الكشف عن مقابر ععدد قليل من هؤلاء الأمراء المحليين الذين ساهموا بتصويب في الحكم أيام الدولة الحديثة من أمثال. حقا نفر في عنيبة وججوتى حثب وأبيه ريو، وقد سبق مناقشة هذا الموضوع.

نشاط أهل كوسه في مصر:

لم يقتصر نشاط رجال كوش اللامعين على بلادهم وحدها، وإنما امتد

ليشمل مصر أيضاً ، فقد اكتسب أهل كوش منذ القدم شهرة كحجارين شجعان ، كما امتازوا بالأمانة والإخلاص مما مهد لهم تولى بعض المناصب الهامة في جهاز الدولة المصرية أيام الدولة الحديثة .

وأبنا فيما سلف كيف كان ينظر إلى عساكر النوبة بكثير من التقدير ، وكيف استعان بهم أمراء الأقاليم أيام ازدهار الإقطاع على أنرسقوط الدولة القديمة . ثم كيف كان ينظر إلى أهل كوش أيام فترة الانحلال بعد سقوط الدولة الوسطى عندما ازدهرت مملكة كوش المستقلة في شمالي السودان بينا حكم الهكسوس في شمالي الوادي والمصريون في طيبة .

ولما دار الزمن دورته وأطاملوك الدولة الحديثة على الوادي وحدته ، أعطى لأمراء كوش سلطة معلومة في نطاق أقاليمهم . ولقد استمرت شهرة جنود الجنوب فكان الملوك يصرون على استدعاء نفر منهم ليكونوا ضمن حرسهم الخاص ، ففي زمن الملك تحتمس الثالث يرد ذكر اختيار عشرة رجال من كوش ليصبحوا ضمن حرسه الخاص ، (Urk. IV. 695 17) كما يرد ذكر اختيار جنود من كوش في الوثائق من زمن الدولة الحديثة ليكونوا من رجال الملك المقربين كعامل المروحة للملك أو قائد العربية الملكية أو حامل العلم (Urk. IV, 16, 5) و (LD 3, 218, c, f) وإذا ما فحصنا ذلك الرسم المسجل على الصندوق الجليل الخاص بالملك توت عنخ آمون نبتين أن حامل المروحة كان من أهل كوش .

ولو أردنا أن نحدد أشخاصاً معينين من أهل كوش ممن استطاعوا الوصول إلى مراكز هامة في إدارة الدولة الحديثة ، لوقت في طريقنا عقبة وهي صعوبة التفرقة بين من هو مصري ومن هو من أهل تلك البلاد نتيجة تمصر الطبقة الحاكمة في كوش . ورغم ذلك فهناك بعض المحاولات وصلت بنا إلى النتائج الآتية :

١ — عثر في وادي الملوك ببطية على مقبرة المدعو ماي — حور — برى May—Hor—Pery وكان صاحب المقبرة هذا يحمل ألقاباً تدل على تمتعه بصفة الملكة حتشبسوت ، ومنها ما يدل على أنه تربى في القصر الملكي مع أبناء

فرعون ، وأنه شغل منصب حامل المروحة على يمين الملك ، وأنه كان ضمن رفقاء الملك في تحركاته إلى البلاد الأجنبية في الشمال والجنوب . وهناك من الشواهد ما يجعلنا على اعتبار ماى — حور — برى من أهل كوش ، فإذا لم تأخذ كثيراً في الاعتبار سواد بشرته الملحوظ في موميائه وكذلك شكل جمجمته ثم صورته في أوراق البردى التى عثر عليها معه ، فإن دراسة مصوراته وبعض مخلفات مقبرته تكاد تؤكد أصله المحلى ، فهناك نماذج من الصناعات والملابس المصنوعة من الجلد تضاهى نظيرتها المميزة لحضارات كوش قبل زمن الدولة الحديثة (Kerma II, 19; Ann. Serv. IV, 46) وكذلك طريقة استعمال الصدف في صنع عقود الزينة لها ما يماثلها في كل من حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة . وقد جذب اهتمامى على الأخص زينة الأذن التى تميز بها ماى — حور — برى فقد عثر ضمن مخلفاته على زوج من الأقراط من النوع الاسطوانى المستدير المصنوع من العقيق . وينحصر أذن موميائه تبين وجود تقبين مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للافتراض أن ماى — حور — برى قد استعمل تلك الحلى التى ميزت أغلب حضارات كوش منذ أيام المجموعة الثالثة وكذا حضارة كرمة واستمر استعمالها هناك أيام الدولة الحديثة وحتى نهاية العصر المروى .

٢ — وصاحب المقبرة رقم ٧٤ بمنطقة الشيخ عبد القرنة بطيبة الذى يحمل اسماً غير مصرى: «ثنى» قد طاش وخدم زمن الملك تحتمس الثالث والملك تحتمس الرابع كسكرتير ملكى (دعى وظيفة ذات طابع حربى) وكقائد حربى، وحمل كذلك العديد من الألقاب التى تدل على مبلغ تفوقه .

فبالإضافة إلى اسمه الذى يحتمل أن يكون صدى الأصل ، والذى كتب بطريقة المقاطع ، وهى الطريقة التى اتبعها المصريون في كتابة الأسماء الأجنبية الغريبة على الأصوات المصرية هناك لون بشرته المائل إلى السواد . كما تذكرنا الطريقة التى صور بها بلك الصورة التى عثر عليها ضمن مقابر المحاربين التوبيين أصحاب تلك المقابر المسماة (Pan-graves) والتى انتشرت بين الشلال الأول وبين دير ريفنة بالقرب من أسيوط في العصر

الوسيط الثاني حتى أيام طرد الهكسوس . والمعتقد أن لهم صلة وثيقة بكتائب المحاربين (Mj 3 w) التي استعان بها ملوك التحرير لطرد الهكسوس من مصر في مطلع الدولة الحديثة . هذا وقد أطلق العالم الألماني زيته على صاحب هذا الرسم لقب البشارى نسبة إلى قبائل البشاريين التي يعتقد أنها تنتمى إلى نفس قبائل «الحجا» القديمة، كما يلاحظ التشابه بين التسميتين . وكذلك يحتمل أن «ثنى» هذا قد وفد إلى مصر مع أمثال تلك الفرق النوية المحاربة وأنه تدرج في المناصب حتى وصل إلى منصبه الحربى الهام كقائد .

٣ — وفى زمن تحتمس الرابع عاشت في طيبة عائلة المدعو حور محب وقد أثارت اهتمامنا ، فقد صور ثلاثة من افراد تلك العائلة على جدران المقبرة رقم ٧٨ في طيبة بشكل يختلف عن العرف الذى ساد في ذلك العصر بزينة هي في صميمها عادة قديمة لأهل كوش . نقصد بذلك الأقراط المستديرة ذات الحجم الكبير نسيا . وهم ثلاثة أخوة حلوا جميعا بأسماء مصرية ، أما أحدهم فحمل لقب رئيس فرق الحجا وهي فرق البوليس النوية ، كما يلاحظ أنه قد صور وفى يده قوس ، ذلك السلاح الذى طالما برع مسكان جنوب مصر وشمال السودان في استعماله حتى أصبح علما عليهم ، فلقبهم المصريون من قديم الزمن باسم أصحاب الأقواس ، من تلك الشواهد : الصلى بالأقراط المستديرة ، وتزعم فرق البوليس النوية ، والتباهى بحمل سلاحها المميز ، بالإضافة إلى تسجيل مناظر تسليم حاصلات الجنوب ضمن مناظر المقبرة ، مع التجاوز عن الأسماء المصرية التي حملها أفراد الاسرة ، والتي قد يكون مردها إلى موجة التمصر التي ميزت ذلك العصر من تاريخ السودان الشمالى — يمكن مع الحفاظ اعتبار تلك العائلة من أصل محلى .

٤ — وهناك حالة أخرى من أيام الرعامسة تستحق الدراسة : ففي قرية صغيرة تسمى حاليا نجع البقع جنوبى دبود في النوبة المصرية نجد أن أحد كبار موظفى الدولة المدعو نحت — مين وهو ناظر خاصة الملكة ، يوصى بأن تكون تلك القرية الصغيرة النائية مستقره الأخير . مع أن القاعدة المتبعة كانت

تقضى بدفن كبار المواطنين أمثال نخت — مين هذا في العاصمة أى في طيبة أو على الأقل في مدينة عنينة عاصمة الإقليم . هذا ويدخل في الاعتبار أن للكهن الذى أشرف على دفن نخت — مين ذكر ضمن نصوص المقبرة مناديا صاحبها « إنك (ترقد هنا) فى مقبرتك ... (تلك) التى شيدتها فى مدينتك بأمر سيدك » معنى ذلك أن نجح البقع تلك القرية النوية الصغيرة — هى موطن موظف الدولة الكبير نخت — مين . ومن هنا نشأ احتمال أن يكون نخت — مين من أصل محلى .

٥ — ولعل أم تلك الحالات جميعاً أمر نائب الملك فى كوش المدعو بانحسى الذى ظهر فى أعقاب عصر الرعامسة ، وأوكل إليه إعادة الأمن إلى مصر كلها ، لحفظ على البلاد وحدتها وصانها من التردى فى الهاوية ، ثم ترك مقاليد الأمور وعاد إلى موطنه عنينة حيث دفن . وطبيعى أن جل اعتمادنا لا ينصب على اسم بانحسى (ومعناه السودانى) فحسب، وإنما الأهم من ذلك أنه صرح أن تكون عنينة مقره الأبدى ، وربما كان ذلك يعنى أنها موطنه الأصلى ، أى أن بانحسى (السودانى) قد استطاع بفضل كفاءته أن يعمل إلى أرقى مناصب الدولة وهو منصب نائب الملك فى كوش .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن المحاضر القضائية الخاصة بعملية سرقة المقابر أواخر أيام الرعامسة قد أشارت إلى إجراءات الأمن القوية التى قام بها بانحسى نائب الملك فى كوش وفيها ما يفهم منه أن المصريين قد نظروا إلى بانحسى نظرتهم إلى الغريب الأجنبي .

Peet, Great tomb robberies II, pl. XXXI, 10, 18 ; Kees, Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, S. 12; Peet, JEA, 12, 257.

ولا شك أن وصول بانحسى إلى منصب نائب الملك فى كوش إنما كان نتيجة تكاد تكون طبيعية لتطور العلاقات بين مصر وكوش منذ أقدم العصور حتى أواخر أيام الدولة الحسدبة وانتشار الحضارة المصرية واستيطانها فى كوش .

ولاشك أن نائب الملك في كوش بانحسى يعتبر من أهم الشخصيات التي لعبت في تاريخ كوش حتى أواخر أيام الرعامسة. نشأ أصلاً وحسب شواهد الأمور في مدينة عنبة وكانت حينذاك المركز الإداري الكبير لكوش ومقر نائب الملك. وهناك في الجبانة المشار إليها بحرف S عثر العالم شتاين دورف على مقبرة تحمل اسم بانحسى. وحيث أننا لم نعر له على مقبرة أخرى في طيبة أو في غيرها فيمكن اعتبار أنه دفن في مقبرة عنبة هذه. وقد اعتبرها المكتشف من أحدث المقابر الموجودة في ذلك الجزء من الجبانه، إذ أنها تنتمي إلى زمن رمسيس الحادى عشر. ومن دواعى الأسف أن كل الباني التي كانت موجودة فوق سطح الأرض والتي كانت تخص تلك المقبرة قد زالت لدرجة لا يمكن معها التكهن بشكل القبر الظاهري. أما الجزء السفلى المحفور في الصخر الطبيعي فإنه يتخذ شكلاً فريداً لأنه محفور على مستويين وعلى عتب الباب المؤدى لغرف المقبرة الموجودة في الطبقة الأولى على النص الجنائزى الذى يؤكد نسبة القبر لبانحسى، وهو يقول : « ابن الملك (أى نائب الملك) بانحسى صادق الصوت ، والمرحوم من لدن أزوريس وأنويس ، القائم على الخيمة المقدسة وسيد الميزان ». أما محتويات القبر فقد نهبت من قبل ولم يعثر الأثريون فيها إلا على أشياء قليلة منها جعل كبير مما كان يصنع بفرض استبدال القلب به بعد الصحنيط، وكان يحمل اسم « سيدة الدار تنوب » وتيمتص من العقيق وبعض الخرز وخاتم وبعض الأجمال أحدهما يحمل اسم تحتمس الثالث تيمنا ، وإثاء خشبي لحفظ السكحل وغيرها من الأشياء الصغيرة .

ورغم قلة المادة التي أمدتنا بها مقبرة بانحسى في عنبة ، فإننا نستطيع أن نرمم صورة مستمدة من مصادر تاريخ مصر خلال تلك الفترة في أعقاب عصر الرعامسة : فقد كانت أمور البلاد تنحدر من سوء إلى أسوأ عندما تكاثفت عوامل الضعف وأخذت تنخر في عظام دولة الفراعنة . هنالك تكاثر أعداؤها وأخذوا يطبقون عليها من جميع الجهات تقريرا . فبعد الحرب المريرة بين مصر وبين دولة الحثيين ، تعرضت البلاد لشر مستطير أتاها في شكل

هجرات كاسحة من الشرق ومن الشمال ، من البر ومن البحر قامت بها شعوب عرفت باسم شعوب البحر يمثلون العديد من الجنسيات. ومن الغرب ازدادت حدة الهجمات الليبية وأضحت تهدد سلامة البلاد ، ورغم نجاح مصر أيام رمسيس الثالث في صد كل تلك الأخطار إلا أن العبء كان أثقل مما تتحمله البلاد ، فظهرت عليها أعراض الشيخوخة متمثلة في سوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الشكوى من ارتفاع الأسعار وازدياد الضرائب ، فأدى ذلك إلى اضطراب الميزان وبدأت على البلاد مظاهر ضعف لم تعرفها من قبل ، ذلك أن جيش العمال في غرب طيبة الذي كان يشرف على إقامة العائز والمقابر الملكية ، بدأ أفرادهم يطالبون الوزير بدفع متأخرات رواتبهم ، وطرد شيخ الجوع عن أسرهم . ولما كانت خزانة الدولة خاوية فإن العمال استمروا في تهديداتهم وشكلوا خطرا فعليا على الدولة ، وفي نفس الوقت تسكونت عصابات للسطو على مقابر الملوك ومقابر رجالات الدولة في كل من وادي الملوك وهضبة طيبة الغربية ، وشكلت للمتمردين عدة محاكم وصلت إلينا محاضرها الرسمية ولكن المحاكمات لم تمنع انتشار السرقات مما أجبر الملوك على إسراع في إنفاذ ما تبقى من موميات أجدادهم ، فأعيد دفنها على عجل في مخافي سرية . ولقد اشتهرت عائلة الكاهن الأكبر لامون المدعو رمسيس نخت فرصة ضعف الملوك وتمكنت من السلطة فأصبحت مصائر البلاد السياسية والاقتصادية والدينية في أيدي أفرادها . وفي زمن رمسيس الحادي عشر كان أمون حنب ابن رمسيس نخت على رأس كهنة آمون التي كانت تمتلك أخصب أراضي مصر ، وكان أخوه نس آمون هو الكاهن الثاني لامون فسيطروا بذلك على دخل المعابد ، كما كان منهم جامعوا الضرائب . هنالك — وقبل العام الثاني عشر من حكم رمسيس الحادي عشر قامت الثورة وأخذت في طريقها الكاهن الأكبر أمون حنب وأسرتة. وتهددت البلاد بالحروب الأهلية التي استمرت حوالي تسعة أشهر ولم تكن في البلاد قوة تستطيع السيطرة على الفوضى ، وفي تلك الأيام العصيبة استنجد ملك مصر رمسيس الحادي عشر بنائبه في كوش حيث طلب من بانعسي أن يحضر بمجيئه ويقضي على الفوضى . فلي بانعسي النداء ، والمرجح أنه استطاع القضاء على أغلب أماكن الفوضى في طيبة

وفي مصر الوسطى بالقوة العسكرية وبعد ما عاد إلى مقر عمله بعينية ، ولم يحاول استغلال الموقف ، رغم أنه كان يمثل القوة الوحيدة الباقية في وادي النيل حينذاك. وتدل الوثائق على أن بانمسي كان موجودا في مقر عمله بالنوبة حتى العام السابع عشر من حكم رمسيس الحادي عشر يز هو بثقة فرعون حين كلفه بتسهيل مهمة أحد رجاله الذي أرسل إلى منطقة الشلالات .

Kees, Herihor u die Aufrihtung des thebanischen Gottesstaates, S. 9/10

أما في طيبة فلقد ظهرت شخصية جديدة بدلا من الكاهن الأول السابق لآمون ممثلة في شخص حريحور ، والمعتقد أنه من أتباع بانمسي . وبعد أن استطاع أن يصل إلى رئاسة كهنة آمون وتولى منصب الوزارة ضم إليه منصب نائب الملك في كوش بعد وفاة بانمسي ، وأخيراً وبعد أن ودع الدنيا آخر ملوك الرعامسة في طيبة ، أسس حريحور أسرة حاكمة عرفت في تاريخ مصر باسم الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ — ٩٥٠ ق.م.) على عكس سلفه بانمسي الذي تصرف بأمانة ونكران للذات ، ولم يحاول استغلال نفوذه كنائب للملك في كوش وكقائد لا كبقوة موجودة حينذاك. وظلت كوش على ولائها لمصر طوال سنوات الضعف السياسي التي ابتليت به البلاد في أواخر أيام الرعامسة .

مركز كوسه السياسي :

رأينا كيف تقدمت كوش بعد ضمها إلى مصر في مضمار الحضارة لتأخذ المركز اللائق بها كبلاد ذات موارد طبيعية وبشرية لا حدود لها ، فغدت في فترة وجيزة من أقوى العوامل الموجهة لسياسة الوادي حيث أضحت تكون جزءاً هاماً في بناء الدولة المصرية . ولقد ازدادت أهمية كوش منذ أواخر أيام الدولة الحديثة ، وشرع الملوك وكذا المتطلعون للعرش يحاولون كسب كوش إلى جانبهم ، وبدأت تصرفاتهم تتم عن تفهم لقوة مركز كوش واثره في تشكيل سياسة الوادي .

ولو حاولنا استعراض ما تم في هذا السبيل لا اعتبرنا زيارات حور محب لكوش خلال فترة صراعه مع منافسه آى في أعقاب الأسرة الثامنة عشرة ، وقبل توليه السلطة الرسمية ، آى في أيام توت عنخ آمون وكذلك رحلته إليها بعد أن استولى على العرش ، كانت من قبيل الاطمئنان على ولاء أهلها .

وتحدثنا الوثائق (BAR III, 642) عن زيارة قام بها أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المدعو رمسيس سابع خلال السنة الأولى من حكمه بغرض تعيين نائب الملك المدعو سبتى في منصب حاكم كوش ، وقد حمل مبعوثه هدايا ومكافآت قيمة لسكبار موظفى تلك البلاد . وأما آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة الملك مرنبتاح — سابع ، فقد أرسل إلى كوش أحد رجاله المختارين ليقوم بإحضار الجزية بنفسه ، وذلك تقليد لم يقابلنا مثيل له من قبل . ولعله كان يرى من وراء ذلك أيضاً إلى التفتيش ، وتقديم تقارير للملك عن مدى ولاء أهل تلك البلاد (Buhen, p. 26, pl. 12) .

أما ما ذكر عن إمكانية وصول نائب الملك فى كوش المدعو سبتى إلى العرش فى أعقاب رمسيس — سابع فربما تدعمه حقيقة أن كوش قد أصبحت تمثل عاملاً له أثره فى السياسة المصرية .

ودار الزمن دورته وانتقل حكم مصر من الأسرة التاسعة عشرة إلى الأسرة العشرين . وهناك ظهرت بوادر الضعف والشكك داخل القصر نفسه . ولقد حدثنا التاريخ عن وقوع مؤامرة دبرها حريم الملك رمسيس الثالث للتخلص من الجالس على العرش .

وتذكر وثائق التحقيق فى الحادث للفاشل أن نقرأ من المتآمرين سعى فى طلب التأيد والعون من كوش ، فقد اتصلت شقيقة قائد الجيش فى كوش (والتي اشتركت فى المؤامرة) بأخيها فى كوش للاشتراك فى المؤامرة ، ولما كشف الغطاء عن المتآمرين قدموا إلى المحاكمة زمن رمسيس الرابع ونفذ فيهم حكم القضاء . والغريب أن نائب الملك فى كوش فى ذلك الوقت لم يخرج عن ولاءه للملك ، وظل اسمه بعيداً عن التآمر . ولو كانت هناك أية شبهة نحوه لما استمر فى منصبه . فالمدعو حورى الثانى الذى شغل المنصب

في زمن رمسيس الثالث قد استمر في منصبه أيضا زمن رمسيس الرابع .

(Buben, p. 24 & Sève-Söderbergh, A.u N.S. 177)

وإذا ما تتبعنا سير الحوادث بعد ذلك مباشرة لتبين لنا أن شخصا من الجيش يدعى حريحور استطاع أن يجمع بين منصب الكاهن الأكبر ومنصب نائب الملك في كوش ثم منصب الوزارة ، أى أنه استطاع أن يجمع في يده كل السلطات . وإدراكا منه لخطورة منصب نائب الملك في كوش فإنه ظل محتفظا به إلى أن بلغ العرش ، فأسنده إلى أقرب الناس إليه أى إلى ابنه بعنقى ، ولا شك أن في ذلك تأكيدا بليغا لما أصبحت عليه كوش من قوة فعالة مؤثرة في تاريخ مصر نفسه .

ذلك كان شأن كوش — فلنبحث علام اعتدت كوش للوصول إلى تلك المكانة السياسية المرموقة ؟ .

لا ريب أن ثروة كوش الطبيعية في ذلك الوقت كانت تشكل حجر الزاوية يضاف إلى ذلك جيشها الذى نظم على غرار الجيش في مصر ثم جهازها الإدارى . هذا وقد سبق أن أثبتنا عدم افتقار كوش لرجال لامعين وقادة من كل المستويات . كل تلك العوامل تضافرت لتجعل من كوش عنصرا مؤثرا في توجيه سياسة مصر مما أهلها لتولى مسؤولية أكبر في المستقبل .

وإذا ما ألقينا نظرة على واردات مصر من كوش أيام الدولة الحديثة ، لوجدنا أن كنوزها المعدنية ومنتجاتها العديدة ، وغلاتها ثم وفرة الأيدى العاملة فيها ، كانت تمثل أهم تلك الواردات . ولقد لعب معدن الذهب دورا كبيرا بين واردات كوش أيام الدولة الحديثة ، وإذا ما رجعنا إلى أيام حضارة مكرمة لوجدنا أن مقابرها — رغم نهبها مرارا — قد أمدتنا بعدد ليس بالقليل من المصنوعات الذهبية ، مما يقوم دليلا على أن الذهب كان يستخرج بكميات كبيرة من مناجم كوش قبل قيام الدولة الحديثة . ولقد ظلت كوش تمثل مورد الذهب الرئيسى طوال عصر الرعامسة ، بدليل تلك النقوش المسجلة على معبد الأقصر وعلى معبد مدينة هابو وفي بردية هاريس .

ولقد أمدتنا أقدم مقابر الكرو التى تخص أسلاف ملوك نبتة بكمية كبيرة

نسيا من الذهب ، على الرغم من صغر حجمها وكثرة نهبها قديما في العصور المختلفة . فأقدم قبر منها أمدنا بما قيمته حوالى ٢٨ جنيها استرلينيا ، كما عثر فى مقبرتين أيضاً على تمثال صغير من الذهب الخالص ، وعلى بعض قطع الزينة الذهبية . وإن ذلك وحده ، يشير إلى مقدار ما كانت تضم تلك المقابر من صناعات ذهبية بما كان يكثر استعماله بين هؤلاء القوم . هذا من ناحية وفرة الذهب فى كوش باعتباره من أهم عناصر القوة عموما . وإلى جانب للذهب كأحد العناصر المكونة للقوة كوش المحلية تذكر مصادر عصر الرعامسة فى أواخر عهد المصريين بأرض كوش (JEA. 13, p. 201) أن الزراعة وتربية الحيوان قد ازدهرتا أيضاً فى كوش ، وبهذا تتبين مدى ما كانت تتمتع به كوش من مصادر للثروة ساعدتها لى تنبؤا مكانها .

وقد سبق أن أوضحنا كيف أصبح الجيش فى كوش أيام الدولة الحديثة على درجة عالية من الكفاءة مكنته من إنقاذ مصر من خطر ثورة الكهنة أواخر أيام الأسرة العشرين .

وينبغى أن نذكر أن شهرة أهل كوش كحاربين قد أعطتها مصر قدرها منذ أقدم العصور ، ولا شك أن سعى ملوك الأسرة السادسة المصرية لتجديد فرق حربية ، وقرق للعمل من أهل النوبة ليكونوا جيشا مؤلفا من عشرات الألوف ، لما يؤكد هذه الحقيقة . وفى زمن العصر الإهناسى ، فى فترة الانحلال السيامى التى امتدت من سقوط الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى (حوالى ٢٢٦٣ ق م . — ٢٠٤٠ ق م . تقريبا) فى مصر ، لعبت القوات النوبية دوراً هاماً أثناء الحملات بين يوتات الحكم المتنازعة فى كل من مصر الوسطى والصعيد ، وقد احتفظ لنا أحد حكام الأقاليم فى مصر الوسطى ويدعى مسحقى فى مقبرته بأسىوط ، بنموذج لفصيلة من المحاربين من أهل النوبة ، الذين تخصصوا فى حمل القوس والضرب بالنبال حتى أنهم سموا قديما بحملة الأقواس . ولقد حفظ لهم التاريخ دورهم المشرف فى مساعدة القوات المصرية لطرد الغزاة فى مطلع الدولة الحديثة ، فتجد الملك كاموسى أحد أبطال التحرير يفخر بأن الفرق المجاوية كانت على رأس قواته المحاربة ضد الآسيويين المعتدين ، ولا بد أن هؤلاء القوم هم أصحاب

المقابر المعروفة باسم (Pan-Graves) ويختلف المؤرخون في تحديد أصلهم إلا أنه يمكن اعتبارهم من أصحاب المرحلة المتطورة الأخيرة من حضارة المجموعة الثالثة ، وربما كانوا من أصحاب حضارة كرمه .

وهناك رسم فريد لأحد أولئك المحاربين عثر عليه في جبانة مستجدة (بالقرب من دير طاسا والبدارى في محافظة أسيوط) صور على قطعة العظم العريضة المكونة لجهة إحدى حيوانات الضحية وهي بالألوان وتمثله واقفاً بشرته السوداء ، حليق الرأس والوجه ، يلبس مثراً قصيراً إلى ما فوق الركبة ، لونه أحمر داكن والجزء العلوى من الجسم مكشوف بينما يصحى بـسـقـد واسع ، ويتسلح بفأس القتال من خلف ظهره ، وفي يده اليمنى يحمل ما يشبه السوط ، أما اليد اليسرى فتتمتد قليلاً إلى الأمام ، حيث كتب اسم داخل مستطيل يمتد من محاذاة الرأس تقريباً حتى أعلى الركبة وفي داخل هذا المستطيل حروف هيروغليفية عددها ٦ : ق . س . ك . (اود) م . ن . ت . ربما كانت تدل على اسم ذلك المحارب ولعل المقطع الأخير من اسمه (منت) = آمونة ، له صلة بالاله آمون أو بزوجه الأصلية آمونة والملاحظ ان هذا المحارب كان يرتدى زياً مصرياً ، ويصحى على الطريقة المصرية ويتسلح بسلاح مصرى ايضاً ، ولعل مرجع ذلك إلى أثر الحضارة المصرية على هؤلاء القوم .

ولا جدال في أن غالبية هؤلاء المحاربين كانوا جنوداً أحراراً ، تشهد بذلك محتويات قبورهم وما عثر فيها من صناعات ذهبية ، مما يدل على أنهم كانوا يتمتعون رواتب مجزية ، لدرجة أننا نقابل البعض منهم وهم يمتلكون العيد كما ظهر من تحقيقات سرقة المقابر في أواخر عصر الرعامسة .

ولو أن مصادر تاريخ كوش في الفترة ما بين نهاية الدولة الحديثة وقيام الأسرة الخامسة والعشرين تكاد تنعدم . إلا أننا نتوقع استمرار كوش في تطورها الطبيعي خلال تلك المرحلة معتمدة على مصادرها البشرية والمادية لتصبح مستقبلاً في موقف يسمح لها بفتح شمال الوادى والسيطرة على مقاليد السياسة في وادى النيل طوال ما يقرب من ١٠٠ عام .

الفصل الخامس

أصل الأسرة الخامسة والعشرين (مملكة نبتة)

إن البحث في أصل الأسرة التي حكمت مصر والسودان القديم منذ حوالي منتصف القرن الثامن حتى حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد (٧٥١ - ٦٥٦ ق . م .) ليزداد أهمية عندما نعلم أن تلك المرحلة تمثل جزءاً هاماً من تاريخ السودان القديم ، ولأنه يلقى الضوء أيضاً على فترة غامضة من تاريخ مصر ، كما يتناول العلاقات الإنسانية بين شطري الوادي في مرحلة بلغت فيها الأحداث التاريخية في وادي النيل ذروتها .

ولقد ظل موضوع البحث في أصل تلك الأسرة مثاراً للقروض ، بعيداً كل البعد عن البحث الشامل ، شائكا في نظر المتخصصين نظراً لقلة المادة العلمية بين أيدينا . وعندما تناولت هذا الموضوع لم أجد أمامي إلا بعض نتائج أعمال الحفر لدهنام وريزتر في المواقع الأثرية المعروفة بأسماء الكرو ونوري ومروي وبركل ، كذلك حفائر مكادام في كوة ثم حفائر ريزتر في كومة ، وحفائر كل من فيث وريزتر وشعين دورف وبونكر في منطقة التوبة السفلى ، هذا بالإضافة إلى الآراء المتناثرة في بعض المؤلفات التي حاول أصحابها أن يدلوا بأرائهم حول الموضوع . وتتلخص تلك القروض فيما يلي :

- ١ - الرأي القائل بأن أصل تلك الأسرة مصري .
- ٢ - النظرية التي ترجع ذلك البيت إلى أصل ليبي .
- ٣ - النظرية القائلة بأن البيت الحاكم والمؤسس للأسرة الخامسة والعشرين فيما بعد هو من أصل على .

أولاً : إن النظرة الفاحصة للأسانيد التي حاولت النظرية الأولى أن تتخذ منها دليلاً لتوضح أنها لم تتخط مرحلة القروض . فالقائلون بها يعتمدون على

الطابع المصرى للحضارة تلك الأسرة، وعلى نسك أفرادها بمقيدة آمون، وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة فى ذلك الوقت . ثم إنهم يشيرون إلى مدى تدن ملوكها ، وبعد ذلك فهم يرون فى اسم بعنخى عاهل الأسرة (٧٥١ — ٧١٦ ق.م.) اسماً مصرياً صميماً سبق استعماله أيام الأسرة الحادية والعشرين عندما حمله بعنخى بن حريمحور . بل إنهم يعتبرون مؤسسى هذه الأسرة من سلالة أسرة الكهنة فى طيبة ، التى فر بعض أفرادها إلى نبتة خوفاً من الهزيمة على أيدي الليبيين ، الذين ملكوا زمام مصر حينذاك وحكموها طوال الفترة بين سقوط الأسرة الحادية والعشرين وقيام الأسرة الخامسة والعشرين.

والمتتبع لتاريخ العلاقات الحضارية بين مصر والسودان منذ فجر التاريخ حتى تلك المرحلة من مراحل التطور ليدرك تماماً أن الطابع المصرى لأصحاب ذلك البيت لا بد أن يرجع إلى طول استيطان الحضارة المصرية فى السودان منذ فجر التاريخ بما فى ذلك استيطان أعداد كبيرة من المصريين فى النوبة ليعملوا ضمن أفراد الإدارة المصرية أو القوات المربطة ، كما أن انتشار الكهنة المصريين فى معايد النوبة حتى منطقة الشلال الرابع كان له أثر كبير فى نشر الثقافة والمعتقد المصرية .

أما فيما يتعلق بظهور الأسماء المصرية بين أصحاب البيت المالك فى نبتة فإن ذلك لم يجد اسمى الملكين بعنخى وحور سيوتف Hutsiyotef (٤٠٤ — ٣٦٩ ق.م) هذا إذا استثنينا الأسماء المصرية التى ظهر بعضها بين أبناء ملوك ذلك البيت مثل حور — إم — أخت بن شاباكو (حوالى ٧٠٧ — ٦٩٦ ق.م) والذى حمل ابنه اسماً مصرياً أيضاً ، كذلك فإن طهارة قد أعطى اثنين من أبنائه اسمين مصريين وهما نيسو نمرت (وهو « اوشنا كورو » فى الحوليات الآشورية للملك « إسرحدون ») و « نيسو شو — تفنوت » . كما حمل بعض ملكات الأسرة وأميراتهن أسماء مصرية مثل « أما نيرديس » ابنة الملك كاشتا (المتوفى عام ٧٥١ ق.م.) ، وإحدى زوجات الملك بعنخى ، وكانت تدعى « قرو كاكاشتا » والملكة

« تاباك — نمون » ابنة الملك يعتقى ، ثم إحدى بنات الملك « شاباكو » ، وأخيراً زوجة الملك اسبالتا (٥٩٣ — ٥٦٨ ق. م.) هذا بالإضافة إلى بعض الأسماء المصرية حملها نفر من الموظفين والكهنة . ذلك هو شأن الأسماء المصرية بين أفراد العائلة المالكة .

أما بخصوص دور كهنة المعبود آمون ، فليس هناك جدال في النشاط الكبير الذي قاموا به خلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين ، فباصمه أقيمت المعابد في شتى أنحاء النوبة وتمت لوائه استطاعوا السيطرة على شمال الوادي بسهولة ، ولم ينظر إليهم على أنهم قوم غريباء ، بل كانوا هم من أنقذوا الوادي وحفظوا تقاليد البلاد وعقائدها المقدسة . كما لا يستبعد أن يكون فريق من الكهنة قد هرب فعلاً إلى نبتة بسبب هجوم الليبيين . كل أولئك يمكن اعتباره من العوامل المساعدة للبيت المالكة في نبتة لكي يصل إلى العرش . أما اللبالة في دور كهنة آمون فإنها تؤدي إلى افتراضات ونتائج خاطئة .

ثانياً : أما القائلون بالأصل الليبي للبيت الحاكم في نبتة فيترضون : أنه خلال الهجرة الكبرى للقبائل الليبية الشمالية إلى الدلتا ومصر الوسطى وسعيهم للاستيطان فيهما ، اتجه فرع من الليبيين الجنوبيين — الطمياح — في نفس الوقت تقريباً متخذاً طريق الواحات جنوباً حتى وصل إلى دنقلة في فترة حكم الملك الليبي شيشق الأول في شمال الوادي (٩٢٠ — ٨٦٠ ق. م.) واعتبرها موطناً جديداً لمشيرته . هناك استطاع رئيس تلك القبيلة أن يجمع إليه كل سلطة نائب الملك في كوش ، وأصبح كغيره من الحكام الليبيين على الأقاليم المصرية ، يكاد أن يكون مستقلاً عن الملك المصري .

ولما كان الموقع الجغرافي لإقليم دنقلة — بوصفه أقرب الأقاليم إلى قلب القارة الإفريقية بمحاصيلها وخيراتها الوفيرة يجعل منه مفتاحاً لمحاصيل القارة بالإضافة إلى سيطرة ذلك الإقليم على الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب ، فقد ازدادت أهميته وكذا أهمية هؤلاء الحكام الجدد الذين اتخذوا من الكرو مركزاً لهم وأخذوا في نشر نفوذهم شمالاً حتى بلغ حدود إقليم طيبة المصري .

وحسب تقدير ريزنر صاحب هذا الرأي لا بد أن تكون كل تلك الأحداث قد وقعت خلال الستة أجيال ، ما بين حكم الملك الليبي شيشنق الأول في مصر ، وبين حكم الملك بعنخي عاهل الأسرة الخامسة والعشرين في نبتة (٧٥١ — ٧١٦ ق. م) . ويرجح ريزنر أن صاحب أقدم مقابر الكرو — والتي قسمها إلى ستة أقسام على ستة أجيال متتالية — قد عاش في زمن الملك شيشنق الأول . ويختتم روايته فيقول بأن أقدم مقابر الكرو هي مقابر أسلاف الملك بعنخي ، وهو يعتبر جميعاً أمراء ليبيين جنوبيين (طمياح) .

ويتماد ريزنر في تأييد نظريته على بعض نتائج الحفر الذي أجراه في الكرو :

١ — فهو قد عثر في أربع من أقدم المقابر في الكرو على رؤوس سهام هي في رأيها ذات طابع ليبي .

٢ — وخلال حفائره هناك عثر على لوحة مكتوبة (أعطاه رقم ٥٣) خاصة بـ زوجة الملك بعنخي المسماة تابيري Tabiri وعلى اللوحة قرأ ريزنر لقباً لها على أنها « سيدة الطمياح » ، وعلى أساس تلك القراءة اطمأن إلى أنه اكتشف دليلاً قاطعاً على أن الأسرة الملكية في نبتة تنتمي إلى الليبيين الجنوبيين أي إلى الطمياح . ذلك لأن الملكة المذكورة هي ابنة ألارا Alara أقدم رئيس لأسرة الملك بعنخي ، كما أن ألارا هذا كان أخاً لكاشتا والد بعنخي .

٣ — ويدعي ريزنر كذلك أن أسماء أفراد الأسرة الحاكمة في نبتة ليبية الأصل وأنها تشبه في بنائها غيرها من الأسماء الليبية .

٤ — وعلى قطعة مكسورة من إناء من الألبستر (نوري رقم ٢٨) عثر عليها ريزنر في منطقة الحفائر في نوري (وهي إحدى أماكن الدفن الملكية التي كانت تتبع العاصمة نبتة) قرأ ريزنر ما يلي : « ٠٠٠ (٢) الرئيس الأعلى للجيش (٣) باشد باست Pashedobast المرحوم (٤) ابن سيد الأرضين ششاقن — مري آمون » . (Reissner, IEA 6, p. 54) وعلى هذا الأساس قرر ريزنر

صاحب الرأي الليبي أن باشد باست هذا ابن الملك الليبي شيشق الثانى أو الثالث لا بد وأنه هو نفسه والد كاشتا ملك نبتة . وبناء على ذلك أرجع ريزنر أصل الليث الحاكم فى نبتة مباشرة إلى الأصل الليبي لليث الحاكم فى مصر فى الفترة ما بين ٩٥٠ — ٧١٥ ق . م . تقريبا .

وقد تبنى الكثير من المهتمين بالدراسات المصرية القديمة الرأي القائل بالأصل الليبي، منهم مكادم وسميث وكارن نلسن وإدوارد وسودربرج وجوثيه . ولو أن هناك منهم من أثار بعض التحفظات ، يتأعاد البعض مثل كارن نلسن ورفض هذا الرأي .

وفيا إلى تحليل للنظرية الليبية :

١ — فيا يختص برؤوس السهام من حجر الصوان وحجر الكوارتز ، ذات الشكل المجنح والتي عثر عليها فى أربع من أقدم مقابر الكرو والتي يرى ريزنر أنها ليبية الأصل . نلاحظ أنه ذكر أيضا نبأ العثور على رؤوس سهام فى نفس تلك المقابر وفى مقابر أخرى تليها ، شكلها نصف دائرى ويعتبرها من أصل على . وبعمل إحصائية لعدد السهام لكل من النوعين السابقين يتضح أن النوع الليبي عدده ٣٢ فيما النوع المحلي يبلغ ٣٩ سهما ، أى أن عدد رؤوس السهام المحلية أكثر من عدد تلك ذات الطابع الليبي . كما أن ذلك النوع من السهام المجنحة كان منتشرا فى كثير من أرجاء وادى النيل منذ عصر ما قبل التاريخ حيث عثر على نماذج لها فى كل من الفيوم والبدارى وحضارة الخرطوم

Arkell, History, p, 33, 55, Early Khartoum p, 76 & p, 50

وبهذا لا يمكن اعتبار رؤوس السهام دليلا يمكن أن تعتمد عليه النظرية القائلة بالأصل الليبي لليث الحاكم فى نبتة .

٢ — وفيا يتعلق بلقب الملكة تايرى الزوجة الأولى للملك بسخى ، والذي قرأه ريزنر « كبيرة الطمياح » . فإن المدقق يلاحظ وجود أخطاء فى قراءة اللقب كنتيجة لطريقة الكتابة بالمقاطع التى اتبعها المصريون فى كثير من الأحيان ومراجعة الكتابات المختلفة التى وردت فى غيرها من النصوص المصرية الأخرى فى القاموس الكبير للغة المصرية ، والخاصة بكلمة الطمياح يتضح

أن قراءة ريزر لتلك الكلمة بعيدة عن الصواب ، والصحيح أن تكون القراءة « خاستيو » ومعناها « البلاد الأجنبية » فتكون القراءة الصحيحة للقب الملكة تاييرى : « سيدة (أو كبيرة) البلاد الأجنبية » وعلى هذا لا يمكن الاعتماد على القراءة الخطأ للقب الملكة تاييرى ثم القول بأن سلالة الأسرة من أصل ليبي .

٣ — ثم نأتى لمناقشة الادعاء القائل بأن أسماء أفراد أسرة نبتة ليبية :

يرى جرينيث أن المقطع « —قه » الموجود في إسم الملك الليبي شيشنق ما هو إلا صورة أخرى للمقطع « —قه » الموجود في كثير من الأسماء الملكية لأسرة نبتة مثل طهارقه وأمطالقه وأمانسطبارقه وغيرها . ويضيف ماكادم إلى ذلك فيعطي بعض الأمثلة على صحة هذا الرأي :

إن اسم شيشنق قد عثر عليه مرة مكتوباً : شاشاقا .

إن اسم طهارقه قد ورد مكتوباً : طهارقا وطهرقا .

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن هذا المقطع الأخير « —قه » الذي ورد في العديد من أسماء الملوك والملكات في مملكة نبتة : طهارقه ، أمطالقه ، أمانسطبارقه ، سيحييقيه ، طابرقه ، تاهيرقه (؟) هو نفسه المقطع « —قه » الذي استمر ظهوره فيما بعد في نهاية الأسماء المروية سواء الملكية منها أو الخاصة بالأفراد والذي ترجحة البعض على أنه مقابل لكلمة اللبجل أو المحرقم . أى أن المقطع المذكور عبارة عن كلمة مستقلة وكانت غالباً ما تضاف إلى الاسم ، ولعلها كانت تقرأ معه كما يتضح من كتابها بالحروف الهيروغليفية ضمن أسماء ملوك أسرة نبتة مثل طهارقه وغيره .

ولذلك لا ينبغي أن نعتمد على ذلك للتشابه النادر الحدوث في كتابة نهاية اسم الملك الليبي شيشنق وبين نهاية اسم الملك طهارقه، لنبرهن على أن الأسماء المروية الخاصة بملوك نبتة من أصل ليبي ، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن اللغة المروية التي إزدهرت فيما بعد تختلف اختلافاً جوهرياً عن اللغة الليبية ، وأن كثيراً من أسماء ملوك نبتة يمكن تفسيره على ضوء معرفتنا باللغة المروية .

(م . ه — الممثل إلى تاريخ السودان القديم)

٤ — وأخيراً تبدو ضآلة السند الأخير الذى اتخذته ريزنر ليؤكد نظريته الخاصة بالأصل الليبي للبيت الحاكم فى نبتة ، ونقصه به النص الذى عثر عليه فى نوري ، والذى يتحدث عن باشدباست بن شيشنق . ذلك النص المقتضب الذى اتخذ ريزنر من مجرد وجوده فى مدافن الأسرة الخامسة والعشرين فى نوري عند الشلال الرابع دليلاً على وجود علاقة قرابة بين الأسرة الليبية فى شمال مصر وأسرة نبتة فى شمال السودان .

وفى رأينا ، إن وجود هذا النص الذى حله ريزنر أكثر مما يحتمل ، فى نوري — وهى إحدى جبايات الأسرة الخامسة والعشرين — قد يعنى العكس ، فاعل باشدباست المذكور هو ابن أحد ملوك الأسرة الليبية ويدعى شيشنق أيضاً ، وأن هذا النص المكتوب على جزء من إناء قد جاء إلى نوري ضمن غنيمة أحضرها معه أحد ملوك نبتة من الشمال .

وهكذا نجد أن النظرية الليبية لم تستطع أن تصمد طويلاً لاعتقادها على أدلة واهية .

ثالثاً : النظرية التى تقول بالأصل المحلي للأسرة الخامسة والعشرين : رغم أن الأصل السودانى للأسرة الخامسة والعشرين منطقي ، بل هو أول ما يجب أن يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن ذلك البيت الحاكم الذى دخل مصر من الجنوب ، ثم تركها بعد حين متجهاً نحو الجنوب أيضاً ليكون دولة مستقلة ظلت مزدهرة زمناً طويلاً فى شمال السودان . إلا أننا نرى أن هذا الرأى قد أهمله الباحثون وانصرفوا عنه ، إما إلى الرأى القائل بالأصل المصرى أو إلى النظرية التى تزعم أن مؤسسى ذلك البيت من أصل ليبي . ومنذ عهد قريب بدأ بعض المؤرخين ينادى بالأصل السودانى ، فمثلاً نجد أن آركل عند تعرضه لهذا الموضوع فى محاولة للتدليل على الأصل السودانى ، قد اعتبر مادة الدفن على سرير ، ومادة بناء القبر المستدير التى وردت فى الكرو وفى نوري ، أدلة على الأصل السودانى . حيث أن هاتين العادتين كانتا معروفتين فى النوبة منذ عهد حضارة كرمة . ويضيف آركل إلى ذلك مادة زواج الاخ بأخته ثم

يشير إلى مدى تدين عاهل الأسرة ألالرا ، يضاف إلى ذلك أيضا عادة التبنى
التي قال أنها طابع تلك الأسرة وهو يعتبر كل هذه التقاليد من أصل على ،
كل ذلك دون أن يدخل في أية تفاصيل .

ولقد أخذت هذه النظرية تكتسب أنصاراً أمثال كاتزنلسن السوفييتي
ولسكلان الفرنسي ، ومن قبل تردد الباحثون أمثال بدج ودريوتون وفنديه
في الأخذ بالأصل المحلي .

وإذا ما اعتبرنا أن أصل الأسرة الخامسة والعشرين على ، أى من أهل
المنطقة المحيطة بنبته ، فلا بد إذا من التعرض لأصل هؤلاء السكان أى لأصل
سكان شمالي السودان في زمن ازدهار حضارة نبته ثم حضارة مروي . أو
بمعنى آخر التعرض لأصل الحضارة المروية .

وقد سار البحث في محاولة حل المشكلة كالآتي :

١ — دراسة الحضارة الخاصة بالأسرة الخامسة والعشرين ، بما في ذلك
مخلفات أسلاف هذا البيت في الكرو واستخلاص العناصر الحضارية المميزة ،
واعتبارها هي نقطة البدء .

٢ — البحث في مخلفات الحضارات القديمة في المنطقة قبل الأسرة الخامسة
والعشرين عن عناصرها المحلية المميزة .

٣ — البحث في مخلفات الحضارات التالية من الأسرة الخامسة والعشرين
عن عناصر مميزة محلية .

٤ — دراسة مقارنة للعناصر المميزة لكل تلك الحضارات التي نشأت في
المنطقة حتى العصر المروي ، والمخرج بنتيجة عامة .

وقد أثبت البحث أن هناك عناصر حضارية محلية وتقاليد تربط كل تلك
الحضارات بعضها البعض مما يؤكد وجود صلة قرابة بينها بطريقة أو بأخرى ،
وأن حضارة الأسرة الخامسة والعشرين هي حضارة ليست غريبة عن المنطقة

التي نشأت فيها ، وإنما هي تكون حلقة في سلسلة الحضارات المحلية التي قامت في النوبة وفي شمال السودان. (انظر اللوحة رقم ٤)

وهذه العناصر الحضارية تنحصر في :

- ١ — طريقة بناء القبر .
- ٢ — طريقة الدفن .
- ٣ — عادة التضحية بدفن الإنسان والحيوان مع صاحب المقبرة .
- ٤ — إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة بالنسبة للرجال .
- ٥ — يضاف إلى ذلك نتائج دراسة المصورات المختلفة لأصحاب كل من حضارة نبتة ومروي في محاولة التعرف على شكل هؤلاء القوم .

فبالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة وجدنا العناصر المحلية الآتية :

- (أ) شكل القبر المستدير .
- (ب) طريقه الدفن على سرير (في الفترة الأخيرة فقط) .
- (ج) إنتشار عادة دفن الدواب وغيرها من الحيوانات الأليفة عند وفاة صاحبها .
- (د) إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة وخاصة بين الرجال .

وبالنسبة لحضارة كرمه وجد أن عناصرها المحلية كالآتي :

- (أ) شكل القبر المستدير . (ب) عادة الدفن على سرير .
- (ج) عادة دفن الحيوان .
- (د) عادة التضحية بالإتباع ودفنهم أحياء مع صاحب المقبرة .
- (هـ) إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة .

وبالنسبة لحضارة الكرو وحضارة الأسرة الخامسة والعشرين وجدت العناصر المحلية الآتية : (انظر اللوحة رقم ٧ ، اللوحة رقم ٨) .

- (١) شكل القبر المستدير (في المقابر العتيقة) .
(ب) الدفن على سرير . (ح) عادة دفن الحيوان .
(د) التحلى بالأقراط بالنسبة للرجال .

وبالنسبة للحضارة مروي وما بعدها كانت العناصر المحلية كالآتي :

- (١) القبر المستدير (بين مقابر الأفراد) . (ب) الدفن على سرير .
(ح) عادة دفن الأتباع (ولو أنها مازالت تحتاج إلى دليل) .
(د) دفن الحيوان . (هـ) التحلى بالأقراط المستديرة وبغيرها .

ومن دراسة تلك الحضارات يتبين لنا أن تمسك هؤلاء القوم أصحاب الاسرة الخامسة والعشرين بتقاليد عتيقة رغم قوة تيار الحضارة المصرية ، وعلى الأخص بالنسبة لتقاليد الدفن ، إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تمسكهم بتقاليد آبائهم وأجدادهم . فلو فرض و كان هؤلاء القوم مصريين لما كانت لهم حاجة إلى ممارسة تلك التقاليد البالية التي لا يتفق بعضها مع ما وصلت إليه الحضارة المصرية من رقي وبخاصة في فنّي التحنيط والعماره ، وهما من أوضح معالم تلك الحضارة .

والتفسير المنطقي لبقاء تلك التقاليد المحلية طوال هذه المدة حتى زمن الاسرة الخامسة والعشرين ، رغم تأثير عناصر الحضارة المصرية المباشر على كل من حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمه ، هو أن تلك العشيرة التي خرج منها بيت الاسرة الخامسة والعشرين ربما عاشت أيام الدولة الحديثة بعيداً عن متناول الأثر القوي للحضارة المصرية ، وربما اتخذت من جزيرة صروي موطناً لها . فن المعروف أنها أصبحت أخيراً عاصمة الدولة المروية ، وقد كانت من قبل ومنذ البداية موطناً لفرع من فروع البيت الحاكم أيام الاسرة الخامسة والعشرين . وإذا صح هذا الفرض فإن توسع هذا البيت يكون قد بدأ من الجنوب إلى الشمال ، وبالتالي يمكن اعتبار ملوك نبتة (الاسرة الخامسة والعشرين) ملوكاً مرويين .

اللغة المروية — اللغة المحلية لمازك نبتة — :

لقد ذكرت فيما سبق إمكانية اعتبار ملوك نبتة ملوكا مرويين ، فالصلة الحضارية بين حضارتهم وحضارة مروى لا تحتاج إلى دليل ، كما هو واضح من مقارنة المادة الآتية في كل منهما .

فوق ذلك يمكن القول أيضا أن أسماء ملوك نبتة ، وكذا أسماء أفراد عائلتهم إنما هي أسماء مروية الأصل . ففي مكان آخر من هذا البحث أمكن إثبات أن النهاية « — قه » في أسماء أفراد الأسرة مروية .

وهنا يمكن إضافة الملاحظات الآتية :

١ — اسم الملك Senkamaniskén يحتوي على إضافة لغوية —S— ويمكن تفسيره بمساعدة قواعد اللغة المروية .

٢ — اسم الملك Amaninatakilehte يحتوي على نهاية الجمع المروية — لب — LEB وحرف الجر TE — بمعنى « في » .

٣ — اسم الملكة Mekmle يتكون من مك MK = إله وملي MLE = طيب أو حسن ، ويلاحظ أيضا أن لفظ ملي MLE موجود أيضا في اسم الملك Malewiebamani وفي أسماء عديدة لأفراد هذه الأسرة .

٤ — وكلمة كوار أو كور QOR التي وردت في تقرير الملك بسماتيك الثانى عن حرية النوبة ، إنما تدل على كلمة الحاكم ويقصد بها الطو وهي نفسها كلمة قور = ملك في اللغة المروية .

(Sauneron—Yoyotte, BIFAO 52, 1952, pp. 157—207)

ومن ذلك يبدو واضحا أن اللغة المروية كانت هي لغة ملوك نبتة المحلية .

ومن الأدلة على صلة القرابة بين المرويين وبين سكان منطقة النوبة في الدولة الحديثة هو ظهور إسم مروى لسيدة من أيام الدولة الحديثة : وهذا الإسم «ملكاشى» يمكن تفسيره بالمروية كالآتى : مى = جميل أو طيب أو حسن ، وكلمة كاشى = كوش + تى = فى فيكون المعنى : الجميلة فى كوش . (Ranké, P. N. I, S. 163, Nr.9)

وهناك اسم ملكة من العصر المتأخر (؟) هى كاتيملى (Budge, The Egypt. Sudan II, p. 117) يحتوى على : كاتى أو كادى = امرأة وملى = جميل (أنظر أيضاً Grapow, ZAS, 76, S. 24 ff) .

وقد حاول يوزر من قبل أن يوجد صلة بين أسماء أمراء النوبة أيام الدولة الوسطى وبين أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين .

(Posener, Princes et Pays, p. 52)

وإنى على ثقة بأن زيادة معرفتنا باللغة المروية سوف تثبت أن العديد من الاسماء الغير مصرية لأفراد من كوش ذات أصل مروى . ومما سبق يمكن تأكيد صلة القرابة ، التى أمكن إثباتها من الناحية الأثرية ، بين كل من ملوك نبتة وأصعاب الحضارة المروية من بجانب ، وبين سكان النوبة وشمال السودان زمن الدولة الحديثة من جانب آخر .

خاتمة

أمدتنا المصادر التاريخية التي عثر عليها في كوة وجبل البركل على وجه الخصوص ، بالإضافة إلى عديد من الآثار عثر عليها في كل من مصر والسودان ، بطرف من كفاح الليث الحاكم في نيته .

ولعل أقدم ذكر لأحد رؤساء تلك الدولة أن يكون عن « ألرا » Alara الذي يعتبر مؤسس الأسرة . فلقد كتب اسم « ألرا » داخل طغراء الملك في لوح يخص ابنته الملكة « تايري » زوجة الملك « بعنخي » ، كما تحدثت النصوص التي عثر عليها في كوة عن مدى تدين « ألرا » وعن سلوكه فيما يتعلق بالمعبود آمون ، الذي اتخذته الأسرة معبوداً رسمياً ، تماماً كما كان أيام ازدهار الحضارة المصرية في طيبة . ولا جدال في أن مقبرة « ألرا » تقع ضمن مقابر أسلاف الأسرة الخامسة والعشرين في « الكرو » وعددها ١٣ مقبرة ، تمتد على مدى خمسة أجيال تنتهي قبيل قيام الأسرة المذكورة مباشرة ، وهي نفس المرحلة التي أغفلتها المصادر التاريخية فيما يتعلق بتاريخ السودان .

وفيما يخص بخليفة « ألرا » المدعى « كاشتا » Kashita ، فكل معلوماتنا عنه تنحصر في أنه أخ « ألرا » . وكانت القاعدة المتبعة تقتضي بأن تكون وراثة العرش من نصيب الأخ بعد وفاة أخيه ، ثم تؤول إلى الابن الأكبر للأخ الأول ، وهكذا . ولا ريب في أن ذلك التقليد في وراثة العرش إنما مرجعه إلى تقاليد محلية موروثة . ولقد حمل « كاشتا » لقب ملك ، بعكس سلفه . ولكنه لم يدعى لنفسه كل ألقاب ملوك مصر ، مع أنه استطاع التقدم بجندة السودانيين نحو الشمال ، واستولى على طيبة وعلى جزء من صعيد مصر ، ثم أجبر الملك الليبي أسر كون الثالث على التقهقر إلى الدلتا ، كما أنه أرغم ابنة الملك الليبي — التي كانت على رأس كهنة آمون في طيبة — على تبني ابنته « أمنديس » Amenirdis ، بفرض السيطرة على كهنة آمون وأملاكه

الشاسعة . وأصبح الملك السوداني في موقف قوى بعد ضمه لطيبه ولجزء من صعيد مصر إلى مملكته نبتة . إلا أنه توفي عام ٧٥١ ق . م .

وخلف « كاشتا » لابنه وولى عهده « بعنقى » Pianchy مهمة إتمام مابدأه ، لفتح شمال الوادى وتوحيده تحت زعامة نبتة . ولقد أشرفا من قبل إلى أن اسم بعنقى من الأسماء المصرية القليلة التى حملها أفراد البيت الحاكم فى نبتة . واسم مشتق من كلمة « عنخ » = الحياة ، ولعل معناه « الحى » ، وكان هذا الاسم معروفاً فى مصر منذ زمن الأسرة الحادية والعشرين المصرية ، حين حمله « بعنقى » ابن « حريحور » عاهل تلك الأسرة .

ووصلت إلينا أخبار « بعنقى » — فيما يتعلق بمجهوده لتوحيد الوادى تحت لواء نبتة — مسجلة بلغة مصرية على لوح حجرى ضخم (١,٨ × ١,٨٤ مترا) عثر عليه عام ١٨٦٧ فى معبد آمون بجبل البركل (أنظر اللوحة رقم ٩) أمر « بعنقى » بإقامته فى رحاب آمون تخليداً لعمله التاريخى العظيم ، فيه وصف مهيب لسير الوقائع الحربية ، كما يحتوى على معلومات قيمة عن معتقدات الأسرة الحاكمة السودانية ، وعن تقاليد ملوكها ، بالإضافة إلى بيانات جغرافية عن المناطق المصرية التى قام الملك بفتحها . وإلى بعنقى تنسب إحدى بوابات معبد الكرنك الشهير بطيبه ، إلى جانب عدد من العمار الأخرى .

وهكذا استطاع أولئك الملوك السودانيين تأسيس البيت الحاكم الذى عرف فى تاريخ حضارات وادى النيل القديمة باسم الأسرة الخامسة والعشرين . ومع استمرار أفراد الأسرة فى بناء مقابرهم فى نبتة عند الشلال الرابع ، فإنهم اعتبروا كلا من طيبة وتانيس (فى شرق الدلتا) عاصمتين متبادلتين لهم . وأصبحوا بذلك على صلة بأحداث العالم القديم .

وشيد ملوك نبتة مقابرهم على الشكل الهرمى ، الذى عرفته مصر منذ أيام الدولة القديمة ، مستعملين الحجر النوبى المحلى ، مما أدى إلى سرعة تأثرها بعوامل التعرية وإلى ضياع نقوشها وتفاصيلها المعمارية .

وكانت المجموعة الهرمية لكل فرد من أفراد الأسرة تتألف من : الهرم — وهو في حد ذاته مبنى حجري ليس به أى حجرات أو بمرات ، ملحق به مقصورة صغيرة نسبياً ، بسيطة التكوين ، تقوم مقام المعبد الجنائزى . وكان الدفن يتم في حجرات تحت سطح الأرض وأسفل الهرم . يصل إليها مدخل يقع غير بعيد من مبنى الهرم ، والجدير بالذكر أن ملوك نبتة ومروى من بعدهم حافظوا على ذلك التقليد في بناء المعبد الجنائزى البسيط الملحق بالهرم ، وربما كان ذلك له صلة بتقاليد موروثة من حضاراتهم القديمة .

وتعد « الكرو » على الجانب الغربي للنيل عند نبتة ، أقدم الجبانات الخاصة بتلك الأسرة ، وفيها أيضاً دفن أسلافها الأولين ، ولقى أدت دراسة مقابرهم إلى كشف النقاب عن الأصل المحلي للبيت الحاكم في نبتة . وشيدت هناك أيضاً مقابر الملوك بعضى وشباكو وشبتكو ، وكذا مقبرة الملك تانوت أمانى وأمه قلته (Qalhata) ، اللتين احتفظتا ببعض ألوان نقوشهما الداخلية حتى اليوم .

وبعد أن امتلأ المكان في « الكرو » انتقل الدفن شمالاً إلى « نورى » شرق النيل . حيث بنى الملك « طهارة » (تهماقا في التوراة) أكبر أهرامات تلك الجبانة ، وتبعه العديد من ملوك وملكات نبتة ، بعد أن انتهى حكم الأسرة الخامسة والعشرين في مصر واقتصر على السودان .

وتدل مخلفات تلك الأسرة على أن أصحابها تأثروا إلى حد كبير بالحضارة المصرية ، فأضحت كل مظاهر حضارتهم تقريباً ذات لون مصرى . فإلى جانب استعمالهم للغة المصرية في أمورهم الرسمية ، فإن مقابرهم اتخذت الشكل الهرمى ، وقد زينوها بالمناظر والنصوص الدينية المصرية . كذلك فإن معابدهم ، التى بنيت على الطراز المصرى ، انتشرت في « البركل » وفى « كوة » وفى غيرها ، وهى تشير بشكل قاطع إلى أن المعبودات المصرية الرئيسية كانت هى نفسها معبودات الأسرة الخامسة والعشرين . بل إنهم اعتبروا جبل البركل

حيث معبد آمون الكبير ، مستقراً ثانياً لآمون معبود الدولة الرسمي ،
بعد طيبة .

واستمر الوجود الرسمي للأسرة الخامسة والعشرين في مصر منذ أن
حاول الملك « كاشتا » فتح الصعيد حوالي عام ٧٥٠ ق.م. إلى أن تمكن
« إسرحدون » الآشوري عام ٦٧١ ق.م. من الاستيلاء على منف ، حيث
وقع ابن « طهارة » وحرّم الملك في قبضة الجيش الآشوري . ثم استطاع
الملك « آشور بانيال » بعد ذلك تحطيم مدينة طيبة لأول مرة في تاريخها
الطويل ، في ثاني حملة له على وادي النيل ، بعد أن أبلى ملوك نبتة بلاء حسناً
في الدفاع عنه . بيد أن نفوذ ملوك نبتة عاد من جديد إلى طيبة واستمر إلى أن
تحالف الملك « بساماتيك الأول » Paammetich I من أمراء الدلتا
المصريين ، مع ملك « ليديا » في آسيا الصغرى المدعو « جيجس » Gyges
وتمكن من الاستيلاء على طيبة عام ٦٥٤ ق.م. من أبدي ملوك نبتة بمساعدة
الجند المرتزقة اليونانيين والكاريين . وذلك بعد أن استطاع طرد فلول قوات
الاحتلال الآشوري من مصر . معنى ذلك أن نفوذ ملوك نبتة في مصر استمر
على وجه العموم ما يقرب من مائة عام .

وكان للتفوق الحاسم للجيوش الآشورية بأسلحتها الحديدية أكبر الأثر
في عودة ملوك نبتة إلى عاصمتهم الأولى ، ومن هناك جرت محاولات لاستعادة
شمال الوادي ، كانت آخرها على يدي « تانوت أمانى » ، آخر ملك من
ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (الذي عاد إلى جبانة « الكرو » في مقبرته
بالقرب من مقبرة الملك « شباكو ») .

وقد سجل اللوح التذكاري (الذي عثر عليه في تانيس شرقي الدلتا) .
للكملك المصري « بساماتيك الثاني » من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، أخبار
الحملة التي قام بها الملك قاصداً نبتة عام ٥٩١ ق.م. ، وكان من نتيجة
تحطيم تلك العاصمة ، ولقد اصططحب « بساماتيك الثاني » في حملته أعداداً

كبيرة من الجند المرتقة الإغريق ، الذين نقشوا أسماءهم للذكرى على أقدام
تمائيل الملك « رمسيس الثاني » المقامة أمام معبد أبو سمبل الكبير ، عند عودتهم
من السودان . وكان تعرض عاصمة مملكة نبتة لذلك الهجوم من الأسباب
المباشرة التي أدت إلى نقل العاصمة من نبتة إلى مروى جنوباً والتي تبعد عن
الخرطوم حوالي ٢٣٠ كم (البجراوية حالياً) .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن ذلك تم في زمن الملك « أسبelta »
Aspelta (٥٩٣ — ٥٦٨ ق . م .) ويعتبر مؤسس دولة مروى الأولى .
وجدير بالذكر أنه آخر ملك يدفن في جبانة « نوى » الملحقة
بالعاصمة نبتة .

ويذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت أن ملك الملوك الفارسي قبيل — الذي
استطاع ضم مصر إلى إمبراطوريته الشاسعة (بين عامي ٥٢٥ — ٥٢٢ ق . م .)
قد أرسل جيشاً إلى إثيوبيا (ويقصد مملكة مروى أو دولة كوش) إلا
أن جيشه ضاع في الصحراء .

وقبيل فتح الإسكندر لمصر ، استطاع ملك نوبى يدعى « خيباش »
Chababash (Hmbe—win) ما بين عامي ٣٣٨ — ٣٣٥ ق . م . — كان
يسيطر على النوبة السفلى مناهضاً للملك المروى « نستاسن » Nastasen
(٣٣٥ — ٣١٥ ق . م .) مؤسس دولة مروى الثانية — أن يقهر الثورة
التي قامت في مصر ضد الحاكم الفارسي ، ويدعى لنفسه ملك مصر — وفي
لوحة الملك « نستاسن » (رقم ٢٣٦٨ بالقسم المصري بمتحف برلين الشرقية)
ذكر الملك أنه أرسل جيشاً لملاقاة غريمه النوبى « خيباش » ، وأنه هزمه
شر هزيمة (أنظر صورة اللوح وترجمته في ص ٢٣ — ٢٧ من الكتيب :
(Nubien u. Sudan in Altertum) .

وبعد فتح الرومان لمصر بزمن قصير تمكنت القوات التابعة للملك المروى
« ترقاس » Teriteqas ، وزوجة الملكة الحاكمة « أمانيراس »

Amanirenas (التي أطلقت عليها المصادر الكلاسيكية Candace = وهو لقب مروي معناه الملكة الحاكمة) وابنتها الأمير المتوج « أكنداد » Akinidad عام ٢٤ ق . م من التقدم شمالاً حتى « دكة » بالنوبة السفلى ، وحدث بعد ذلك أن توفي الملك المروي ، فتولى « أكنداد » قيادة الحملة . وتمكن من فتح « فيلاي » وجزيرة فيله وأسوان ، وكانت تعتبر كعبة لكل من المرويين والمصريين طوال حكم الرومان لمصر ، كما كانت رسل ملوك مروي تحضر إليها سنوياً حاملة الهدايا المعبودة إيزيس . وحمل الجيش المروي الغازي معه لدى عودته ، ضمن ما حمل من سبائك وأسلاب ، بعض تماثيل الإمبراطور الروماني « أغسطس » المقامة في « فيلة » . والجدير بالذكر أن حفائر « جرستنغ » Garstang في منطقة القصر الملكي بمروي القديمة (البجراوية حالياً) قد كشفت عن رأس لتمثال « أغسطس » من البرونز — واضطر الوالي الروماني لمصر المدعو هرونوس « Petronius » عام ٢٣ ق . م . أن يخرج على رأس جيش روماني لللاقة الجيش المروي .

واستطاع الرومان دخول نوبة ، ثم طادوا وعسكروا في « قصر إريم » (Primis) ، هنالك أرسل المرويون رسالهم للتفاوض مع الإمبراطور « أغسطس » (الذي كان يستجم في جزيرة ساموس في البحر الأيوني قرب سواحل آسيا الصغرى) ، وتم تحديد شروط الاتفاق ، من بينها أن تكون بلدة « المهرقة » Maharraqa = Hiere Sycaminus بالنوبة السفلى ، هي الحد الفاصل بين الدولة المروية وأقصى حدود الإمبراطورية الرومانية جنوباً في إفريقيا .

وحاول القيصر نرون Nero (٥٤ — ٦٨ م) أن يهد لغزو مملكة مروي ، فأرسل بعثتين ، إحداهما لاستكشاف منابع النيل ، والأخرى للاستطلاع والتجسس تمهيداً لإعداد حملة حربية ، ووصلت البعثتان حتى مستنقعات النيل الأبيض ، وكانت نتائجها غير مشجعة .

نهاية مملكة مروي :

عاشت مملكة مروي حتى مطلع القرن الرابع الميلادي . وأخذت كثير من العناصر المحلية تظهر في آثارها . فبدت عناصر معمارية جديدة تمثلت في عمارة المعابد في « المصورات الصفراء » حيث ظم مركز ديني هام . وفي « النقعة » (أنظر اللوحة رقم ١٠ ، ١١) وفي مروي كذلك فيما يختص بالمقابر بشكلها الهرمي المديب ومقاصيرها البسيطة . (لوحة رقم ١٢) . وفي النقوش والرسوم (لوحة رقم ١٣) . وإذا أمعنا النظر في أزياء الملوك وفي زينتهم . وكذا أفراد البيت الحاكم ، نلاحظ اختلافاً كبيراً عن نظيرتها في مصر .

ولم يستمر ملوك مروي إلى الأبد في استعمال اللغة والكتابة المصريين في تصريف أعمالهم الرسمية ، وإنما بدت محاولات رائدة في ابتكار كتابة مروية خاصة للفتهم . فظهرت أبجدية مروية مصورة (تقابل الهيروغليفية المصرية) أغلبها مقتبس من الأبجدية المصرية المتأخرة وعدد حروفها ٢٣ حرفاً . ثم اجكروا حروفاً مبسطة . وتمتاز الحروف المروية عن نظيرتها المصرية بأن كل حرف يدل على صوت واحد ، أي أنها أبجدية صرفة ، كما تتميز باستعمال الفواصل بين الكلمات (: ، :) ولعلها تتفق في ذلك مع الكتابين الكتمانية والآرامية . وهي تختلف في جوهرها عن اللغة المصرية ، وما زالت المحاولات الجدية جارية لفك رموزها ، وخاصة بعد أن أمدتنا الحفائر الحديثة بحصيلة لا بأس بها من النصوص .

ومن ناحية العقائد ظهرت معبودات محلية جديدة من بينهما الأسد (أبدماك Apedemak) ، الذي كان يكثر وجوده حتى عهد قريب في منطقة « البطانة » — بين عطبرة والنيل الأزرق — وأقيمت له المعابد في النقعة والمصورات ونحت التماثيل أيضاً .

وليس هناك عدا القليل من المصادر التاريخية التي تتحدث عن نهاية مملكة

مروى ، تلك التي ساهم ملوك أكسوم الأحمباش في وضعها ، عن طريق الحملات الحربية التي أرسلوها إلى مروى . ولقد انتهز الفرصة شعب جديد يدعى النوبا Noba (وهو غير النوبيين الحاليين) وأخذ يستوطن منطقة الحضارة المروية تدريجيا : ويؤكد يضح على أن سقوط مملكة مروى يرجع إلى حوالي عام ٣٢٠ م . وعكس الملك إيرانا Aizanas الأكسومي (حوالي عام ٣٥٠ م) عن إرسال حملة حربية ضد كوش والنوبا ، والتي قادته إلى منطقة مروى ، وفي اللوحة التذكارية التي كتبت باليونانية يسمى نفسه ملك كاسو = كوش .

الاختصارات

- AJSL . The American Journal of Semitic Languages and Literatur, Chicago and New York.
- Ann. d. Serv. Annales du Service des Antiquités de l'Égypte, Le Caire.
- BAR . Breasted, Ancient Records of Egyptian, Historical documents from the earliest times to the Persian conquest Chicago 1906.
- B. M. British Museum.
- Cat. Gén. Catalogue Générale des Antiquités égyptiennes du Musée du Caire, Le Caire.
- JEA . Journal of Egyptian Archaeology, London.
- Ku . Kurru.
- Kush . Kush. Journal of the Sudan Antiquities Service, Khartoum.
- L.A.A.A. Annales of Archeology and Anthropology issued by the Institute of Archaeology, University of Liverpool, Liverpool.
- LD. Lepsius Denkmäler.
- LR. Livre des Rois de l'Égypte, Le Caire.
- Meroit Inscr. Meroitic Inscriptions.
- Meroit. Stud. Meroitic Studies.
- Mém. Miss. Fr. Mémoires publié par les membres de la mission française du Caire.
- M. F. A. B. Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.
- Mitt. d. dt. Inst. Mitteilungen des deutschen Instituts fuer Aegyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin.
- Nu. Nuri
- (م ٦ — الممثل إلى تاريخ السودان القديم)

- RCK.** Royal Cemetery of Kush.
- Rec. d. trav.** Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes, Paris.
- S. N. R.** Sudan Notes and Records, Khartoum.
- S P A W.** Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften, phil.-hist. Klasse.
- Urk.** Urkunden des ägyptischen Altertums, begründet von Georg Steindorff, in Verbindung mit Siegfried Schott, herausgegeben von Hermann Grapow.
- ZAS.** Zeitschrift fuer ägyptische Sprache und Altertumskunde, Berlin-Leipzig.
- Wb.** Wörterbuch der ägyptischen Sprache, A. Erman und H. Grapow.
- WbZ.** Wörterbuch der ägyptischen Sprache, A. Erman und H. Grapow, Zettelkatalog.

المراجع

- Anthes, R. : Die Felseninschriften von Hatab. In : Sethe, Untersuchungen, Leipzig 1928.
- Arkell, A.J. : A history of the Sudan, London 1955.
- : "Varia Sudanica" in JEA, XXXVI, p. 36.
- : Notice of Recent Publications. JEA 37, 1951.
- The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan, Khartoum, 1949.
- Shaheinsab, Oxford 1453.
- Early Khartoum, Oxford 1949.
- Badawi, A.M. : أحد بدوى ، في مركب الشمس - الجزء الثاني ، الطبعة الأولى
vol. II., Cairo 1950.
- Bakir, A. : Slavery in Pharaonic Egypt. Cahier no. 18, Sup, Ann. Serv. Caïre 1952.
- Bakr, M. : Untersuchung zur Herkunft der 25. Dynastie, Dissertation, Berlin 1962.
- : The Relationship Between C-Group, Napatan and Meroitic Cultures, in Kush XIII., pp. 261—264.
- Bates, O. : The Eastern Libyans, London 1914.
- Blackman, A.M. : The Temple of Derr, "Les Temples immergés de la Nubie", Le Caire 1913.
- Bonnet, H. : Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte, Berlin 1952.
- Bouriant, U. : Tombeau de Harmahabi, Mém. de la Miss. Française, V, 1893, pp. 413—434.
- Breasted, J.H. : Ancient Records of Egypt. Historical documents from the earliest times to the Persian conquest, vol. III, Chicago 1906.
- Geschichte Aegyptens. Deutsch von H. Ranke, Köln 1957.

- Brugsch, H.: Reise nach der Grossen Oase El-Kharge in der Libyschen Wüste, Leipzig 1878.
- Brunner-Traut, E.: Der Tanz im Alten Aegypten. Aegyptologische Forschung, 6, 1938.
- Brunton, G.: Mostagedda, London 1937.
- Budge, E.A.W.: A history of Egypt. Vol. VI: Egypt under the Priest-Kings and Tanites and Nubians, London 1920.
- : The Egyptian Sudan, its history and monuments, vol. I, London 1907-
- Carnarvon and Carter: Five Years Explorations at Thebes, Oxford 1912.
- Carter, H.: Tutench.Amun. III, Leipzig 1934.
- Champdor, A.: Die Altaegyptische Malerei, Leipzig 1957.
- Couyat, J. et Montet, P.: Les Inscriptions du Ouadi Hammâmât. Mém. de l'Institut Français au Caire, XXXIV, Le Caire 1912.
- Darassy, G.: Fouilles de la Vallée des rois, Catalogue Generale des Antiquités d'Egypte, Caire 1898/99.
- Davies, N.: The Tomb of Amenmose (Nr. 89) at Thebes, JEA 26, p. 131 ff.
- : The Tomb of Ken-amun at Thebes, The Metropolitan Mus. of Art, Egyptian Expedition. New York 1930.
- Davies N., Gardiner A.: The Tomb of Huy (No. 40). The Theban Tombs Series, IV memoir, London 1926, pp. 23-25.
- Devéria, Théodile: Le Papyrus judiciaire de Turin et les papyrus Lee et Rollin, Étude Égyptologique, Paris, MDCCCLXVIII.
- Drioton, E., Vandier, J.: Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, II. L'Egypte, Paris 1952.

- Dunham, D. :** The Royal Cemeteries of Kush :
I. El-Kurru, Cambridge 1950.
II. Nuri, Boston 1955.
III. Decoration Chapels of the meroitic Pyramids at Meroe and Barkal, Boston 1952.
IV. Meroe and Barkal, Boston 1957.
- * : An experiment in reconstruction at the Museum of Fine Arts, Boston. JEA 26.
- Edel, E. :** Der Reisebericht des Hrwh-hwj. f. Inschriften des Alten Reiches, V, Sonderdruck aus den ägyptologischen Studien Deutsche Akademie der Wissenschaft, Institut fuer Orientforschung, Berlin 1955.
- Edwards, I E. :** The Pyramids of Egypt, London 1952.
- Emery-Kirwan :** Excavations between Wadi Es Sebus and Adindan 1929-1931, Mission Archéologique du Nubie 1929-1934, Service des Antiquités de l'Égypte 1935.
- * Royal Tombs at Ballana and Qustul, Mission Archéologique de Nubie 1929-1934, Service des Antiquités de l'Égypte, 1938.
- Firth, C.M. :** The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1908/9, Cairo 1912, Report for 1909/10, Cairo 1915.
- Gardiner, A. :** The Defeat of the Hyksos by Kamose : The Carnarvon Tablet, No. 1, JEA 3, p. 95 ff.
- Gardiner, A. and Peet :** The Inscriptions of Sinai, Part I, Egypt Exploration Fund, London 1917.
- Garstang-Sayce and Griffith :** Meroe, The City of the Ethiopians, An Account of the 1st Season 1909—1910, Oxford 1911.

- Gauthier, H. : Livre des Rois de l'Égypte, Tome III et IV,
Le Caire 1914/1916.
- : Dictionnaire des noms géographiques, T. I, IV, V,
Le Caire 1915, 1927, 1928.
 - : Le Fils Royaux de Ramsès Pa-Ched-Bastit, An-
nales des Services des Antiquités de l'Égypte, No.
18, pp. 259-260, 1918/1919.
 - : Les Temples immergés de la Nubie :
Le Temple d'Amada, Le Caire 1913.
Le Temple de Kalabchah, Le Caire 1911.
- Giorgini, N.S : Excavations at Soleb, Kush VI, 1958, pp. 97 ff.
- Grapow, H. : Aegyptische Personennamen zur Angabe der Her-
kunft aus einem Orte, ZAS. 73, 1937, S. 44 ff.
- : Die Inschrift der Königin Katimala, ZAS. 76,
1940, S. 24 ff.
- Griffith, P. : Meroitic Studies, JEA III, 1916, p. 111, IV, 1917,
p. 21 ff, XV, 1929, p. 71, London.
- : Meroitic Inscriptions, I, p. 57 ff, London 1911/12.
 - : The Cemetery of Sasan, Oxford [Excavations in
Nubia, p. 105 ff., from the Annals of Archaeology
and Anthropology, vol. X, Liverpool 1923.
- Gunn, B. : A middle Kingdom Stela from Edfu, Ann. Serv.
XXIX, p. 5-14, 1929.
- Habachi, L. : The Graffiti and work of the Viceroys of Kush
in the region of Assuan, Kush V, p. 13 ff., 1957.
- Hamza, M. : Excavations of the Department of Antiquities at
Qantir (Faqas District) (Season May 21st—July 7th
1928), Ann. Serv. XXX, 1930.

- Helck, W.: Zur Verwaltung des mittleren und des neuen Reiches, Probleme der Aegyptologie, Bd. III, Leiden-Köln 1958.
- Hermann, A.: Das Grab eines Nachtmis in Unternubien. Mitteilungen des deutschen Instituts in Kairo, Bd. 6, p. 12 ff. Berlin 1936.
- Herzog, R.: Die Nubier, Berlin 1957.
- Hintze, F.: Die Sprachstellung des Meroitischen, Afrikanische Studien 1955, S. 357.
- : Studien zur meroitischen Chronologie und zu den Opfertafeln aus den Pyramiden von Meroë, Abhandlung der Deutschen Akademie der Wissenschaften, Berlin 1959.
- Nubien und Sudan im Altertum, Sonderausstellung Berliner Aegyptischen Museums, 1963.
- Hölcher, W.: Libyer und Aegypter, Aegyptologische Forschung, Heft 4, Hamburg 1937.
- Janssen, J.: Annual Egyptological Bibliography, Leiden 1958.
- Junker, H.: Bericht ueber die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von *Ermenne* im Winter 1911/12, Wien 1925.
- : Bericht ueber die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von *Kabbanieh-Nord* 1910/11, Wien.
- Kaiser, W.: Stand und Probleme der ägyptologischen Vorgesichtsforschung, ZAS 81, 1956, S. 87 ff.
- Kamal, A.: Rapport sur Quelques Localités de la Basse-Égypte, Ann. Serv. 1906, pp. 236-237.
- Katznelson, I.: Certains Traits de l'Organisation d'État en Nubie du VI au IV Siècles avant notre ère, XXV. Congrès international des orientalistes, Moscou 1960

- Kees, H. : Kulturgeschichte des Alten Orients, I Aegypten, Anhang Nubien, Muenchen 1933.
- : Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates. Nachrichten der Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen. Phil.-Historische Klasse. Fachgruppe I, Altertumswissenschaft, NF, Bd. II. Nr. 1, Göttingen 1936.
 - : Das Priestertum in Aegyptischen Staat. Probleme der Aegyptologie I, Leiden—Köln 1953. S. 264 ff.
 - : Der Götterglaube in Alten Aegypten, Berlin 1956.
- Krall, J. : Beiträge zur Geschichte der Blemyer und Nubier, Wien 1898.
- Lacau, P. : Une Stèle du Roi "Kamosis", Ann. d. Serv. 39, pp. 254-271, Pl. XXXVII and XXXVIII.
- Leclant, J. et Raccab, A. : Dans les Pas des Pharaons, Paris 1958.
- Lepsius, R. : Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, III, V. Berlin 1849-1859.
- Lhote, A. : Les Chefs-D'œuvre de la Peinture Égyptienne, Paris 1954.
- Macadam, M.F.L. : The Temples of Kawa, I, II, Text and Plates, Oxford 1949.
- Mac Iver, D. and Wooley, L. : Buhen. University of Pennsylvania, Egyptian Department of the University Museum, Exp. 15 Nubia, vol. 7, 8, Pennsylvania, 1911.
- Mariette, A. : Monuments divers recueillis en Égypte et en Nubie, Paris 1889.
- Maspero, G. : Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient Classique. Les Empires, Paris 1899.
- Meissner, B. : Beiträge zum Altbabylonischen Privatrecht. Assyriologische Bibliothek, herausgegeben von F. Delitzsch und Haupt, Bd. XI, Leipzig 1893.

- Meyer, Ed. : Geschichte des Altertums I, 350—353 : Das Reich von Napata und die Eroberung Aegyptens durch die Aethiopen. Stuttgart 1884.
- Möller, G. : Metallkunst der Alten Aegypter. Berlin 1925.
- Moortgat, A. : Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus, in: A. Scharff-Moortgat, Aegypten und Vorderasien im Altertum, Weltgeschichte in Einzeldarstellungen, Muenchen 1950.
- Moss, P. : The ancient Name of Serra, JEA 36, p. 41/42, 1950,
- Mueller, W. M. : Who were the ancient Ethiopians? Orient, Studien, Philadelphia, 1894, p. 7.
- Newberry, P. E. : Beni Hassan, I. Archaeological Survey of Egypt, Ed. by F. L. Griffith.
- Otto, E. : Der Weg des Pharaonenreiches, Stuttgart 1953.
- Peet, T. E. ; Great tomb robberies of the twentieth Egyptian Dynasty, vol. I and II, Oxford 1930.
- : The Chronological Problems of the twentieth Dynasty, JEA, 14, pp. 52—73, 1928.
 - : The Supposed Revolution of High - priest Amenhotep under Ramses IX, JEA 12, pp. 254-259, 1926.
- Petrie, F. : Diaspolis parva 1898/9, The Egypt. Exploration Fund, 20, London 1901.
- : Qurneh. British School of Archaeology in Egypt and Egyptian Research account, London 1909.
 - : Royal Tombs of the 1st Dynasty, I, London 1900.
 - : A Season in Egypt, London 1888.

Petrie, F. : Sediment, I, British School of Archaeology in Egypt, London 1924.

Porter-Moss : Bertha Porter and Rosalind Louisa Buxford Moss, assisted by Ethel Wordsworth Burney, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Historical Texts, Reliefs and Paintings, VII, Nubia, the Deserts, and outside Egypt, Oxford 1951.

Posener, G. : Pour une Localisation du Pays Koush au Moyen Empire, Kush VI, 1958.

• : Princes et Pays de l'Asie et Nubie. Bruxelles 1940.

• : Beiträge in Knaures Lexikon der ägyptischen Kultur, in Zusammenarbeit mit Serge Sauneron und Jean Yoyotte, München-Zürich, S 27—28, 48—49, 87 ff, 152 ff, 188 ff.

Ranke, H. : Aegyptische Personennamen I, Glückstadt-Hamburg 1935.

• : Keilschriftliches Material zur altägyptischen Vokalisation, Abh. d. Kgl. Preuss. Akademie der Wiss., Berlin 1910.

• : Die Religion in Geschichte und Gegenwart, Separatdruck aus Bd. I, Aegypten (I-IV) ; Aethiopien im Alttestum, Tübingen, O.J.

Reisner, G. : Excavations at Kerma, Parts I—III and IV—V, Harvard African Studies, vol. V u. VI. Cambridge 1924.

• : Archaeological Survey of Nubia. Report for 1907—1908, vol. I.

• : Note on the Harvard-Boston excavations at El-Kurruw and Barkal in 1918/19, JEA 6, 1920, pp. 61-64.

Reisner, G.; Accessions to Egyptian Collection during 1914, B.
Excavations at Kerma---Hebzefta, Prince of Assiut
and Governor of the Sudan, MFAB XIII, Boston
1915, p. 71 ff.

• : Excavations at Napata, The Capital of Ethiopia,
MFAB XV, Boston 1917, p. 25-34

• : Known and Unknown Kings of Ethiopia, MFAB
XVI, Boston 1918, pp. 67-82.

• : The Royal Family of Ethiopia, MFAB XIX, Boston
1921, p. 21-38.

• : The Pyramids of Meroe and the Candaces of
Ethiopia, MFAB XXI, Boston 1923, pp. 12-27.

• : Excavations in Egypt and Ethiopia, MFAB XXIII,
Boston 1925, pp. 18-28.

• : The Discovery of the Tombs of the Egyptian XXV
Dynasty, Sudan Notes and Records, vol. II, 1919,
pp. 237-254.

• : Outline of the Ancient History of the Sudan, IV :
The First Kingdom of Ethiopia, Sudan Notes and
Records, vol. II, 1919, p. 357.

• : Report on the Egyptian Expedition of Harvard Uni-
versity and the Boston Museum of Fine Arts 1913---
Excavations at Kerma II, ZAS 52, 1913, p. 34-49.

• : Inscribed Monuments from Gebel Barkal, The Gra-
nite Stela of Thutmoses' III, ZAS 69, 1933, pp. 24-39.

• : The Viceroys of Ethiopia, JEA, VI, pp. 28-55.

Säve-Söderbergh, T. : Aegypten und Nubien. Lund 1941.

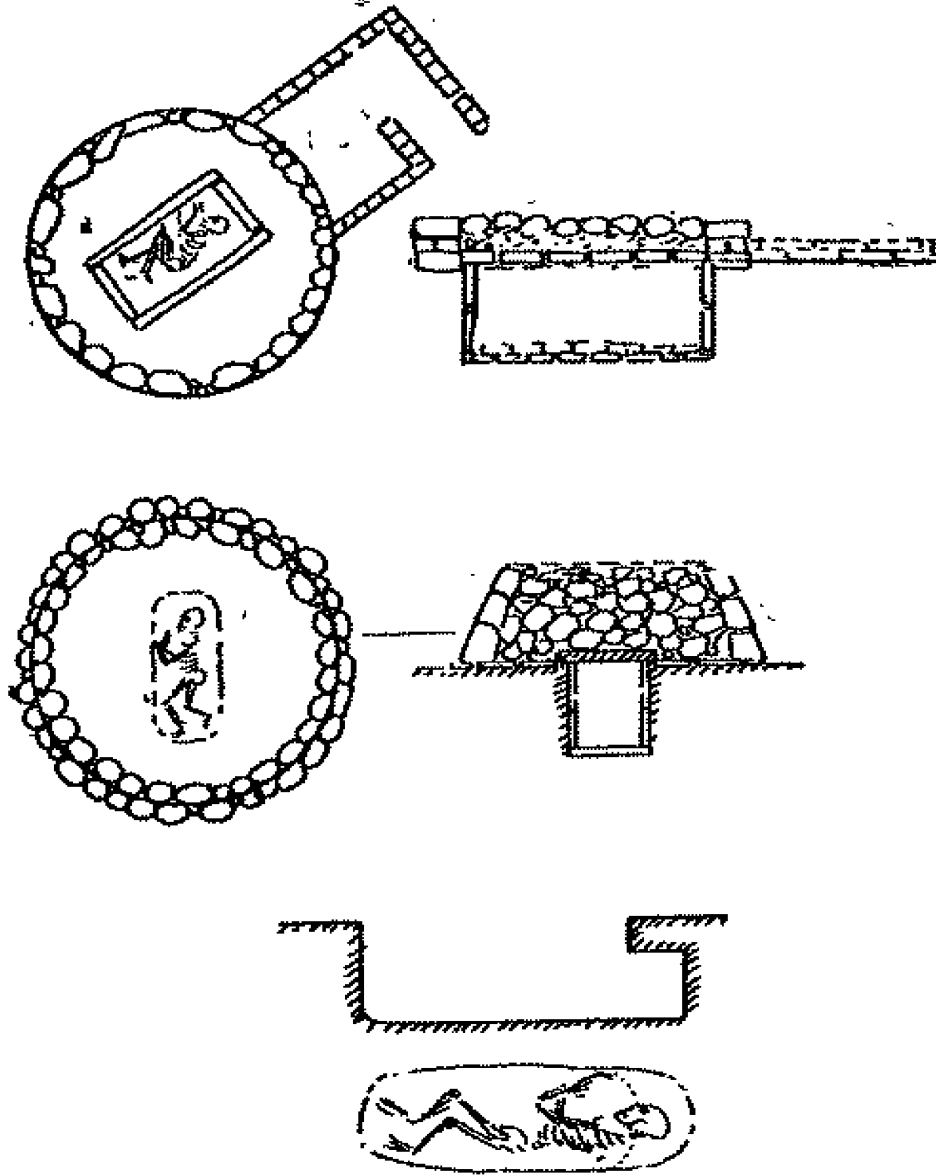
• : A Buhen Stela from the Second Intermediate Period,
JEA 35, 1947, pp. 50-58.

• : The Hyksos Rule in Egypt, JEA 37, 1949, pp. 53-71.

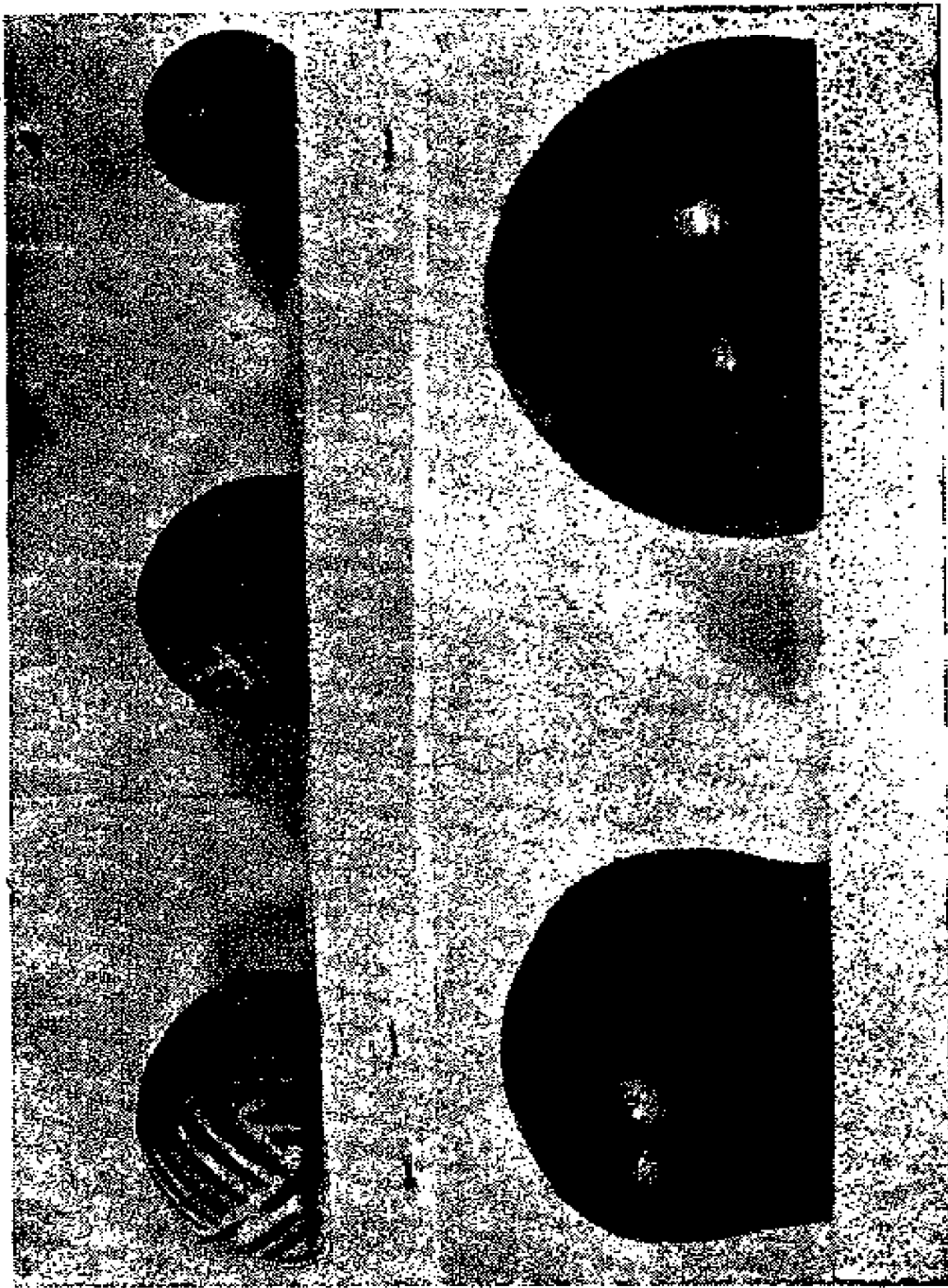
- Säve-Söderbergh, T.: A Nubian Kingdom of the Second Intermediate Period, *Kush* IV, 1956, pp. 54-61.
- Schäfer, H.: Urkunden der alten Aethiopienkönige (Urkunden des ägyptischen Altertums, Abt. III) 1905.
- : Urkunden des Alten Reiches, 2. Aufl. (Urkunden des ägyptischen Altertums, herausg. v. G. Steindorff I) Leipzig 1932-33.
 - : Aegyptische Goldschmiedearbeiten. Unter Mitwirkung von G. Mueller und W. Schubart, Mitt. aus der ägypt. Sammlung der Kgl. Museen zu Berlin, Bd. I, S. 55 ff., Berlin 1910.
 - : Die äthiopische Königinschriften des Louvre, *ZAS* XXXIII, 1895, pp. 101-113.
- Scharff, A.: Der historische Abschnitt der Lehre fuer Merikart, Sitz. d. Bayer. Akad. d. Wiss. Phil.-hist. Abt., Jahrgang 1936, Muenchen.
- Scheil, D.: Le Tombeau de Djenni, *Mém. Miss Fr.*, V, p.592 ff.
- Schmidt, G.: Das Jahr des Regierungsantritts König Taharqa, *Kush* VI, S. 121 ff., 1958.
- Sethe, K.: Die Aechtung feindlicher Fuersten, Völker und Dinge auf altägyptischen Tongefässscherben des MR, Berlin 1926.
- Simpson, W. Kelly: Heka-Nefer, Publications of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt, No. 1, New Haven & Philadelphia 1963.
- Smith, W.S.: Ancient Egypt, Boston. Mus. of Fine Arts, Boston 1946.
- Spiegelberg, W.: Die Demotischen Denkmäler-Die Demotischen Inschriften, Bd. II, Text, S. 190 and II Tafel, Nr. 30841.

- Steindorff, G. : Aniiba, I, II. Service des Antiquités de l'Égypte, Miss Archéol. de Nubie 1929-1934, Glueckstadt 1935-1937.
- Thabit, H.T. : The Tomb of Djehuty-Hetep, Prince of Serra, Kush V, 1957, p. 81 ff.
- Vercontter, J. : New Egyptian texts from the Sudan, Kush IV, pp. 66-82.
- : Excavations at Sai 1955/57, Kush VI, 1958, p.148 ff.
- Virey, P. : La Tombe des Vignes à Thèbes, Rec. de Trav. XX, 1898, pp. 211-223, XXI, 1899, pp. 127-133, 137-149, XXII, 1900, pp. 83-97, Paris.
- Wild, H. : Une danse Nubienne d'époque pharaonique, Kush VII, 1959.
- Wreszinski, W. : Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte, Bd. 1-3, Leipzig 1923, 1935 und 1936.
- Zeissel, H.v. : Aethiopen und Assyrer in Aegypten, Aegyptol. Forschung, Muenchen, Beiträge zur Geschichte der ägyptischen Spätzeit. Glueckstadt 1955.

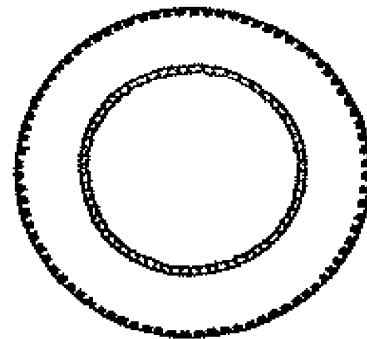
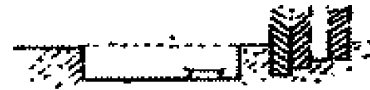
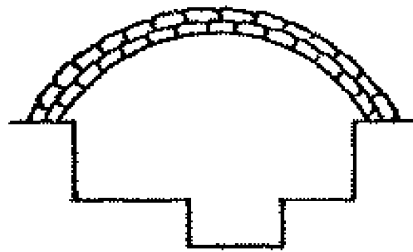
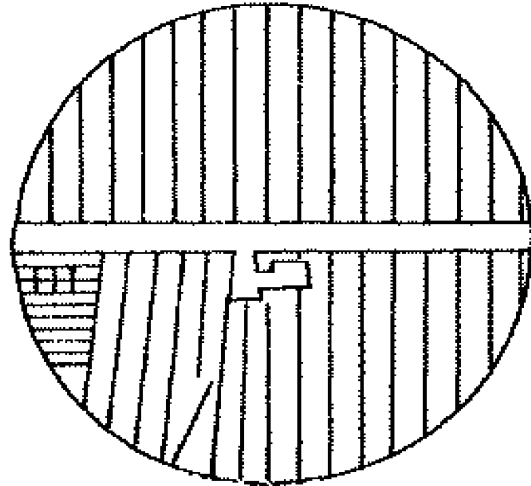
C. Group



١ — حضارة المجموعة الثالثة — شكل القبر وطريقة الدفن

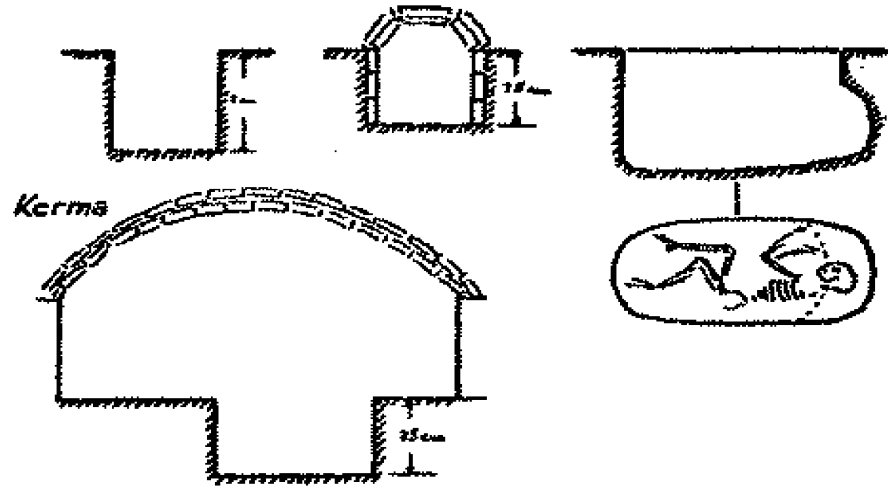


Kerma



٣ — حضارة كرمه — شكل المقبرة وطريقة الدفن

C. Group



Kurru





Meroitic



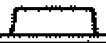















period



٤ — دراسة مقارنة للاجزاء الواقعة تحت سطح الأرض والمخصصة للدفن في كل حضارات السودان القديم : المجموعة الثالثة — كرمة — الكرو — العصر المروى .

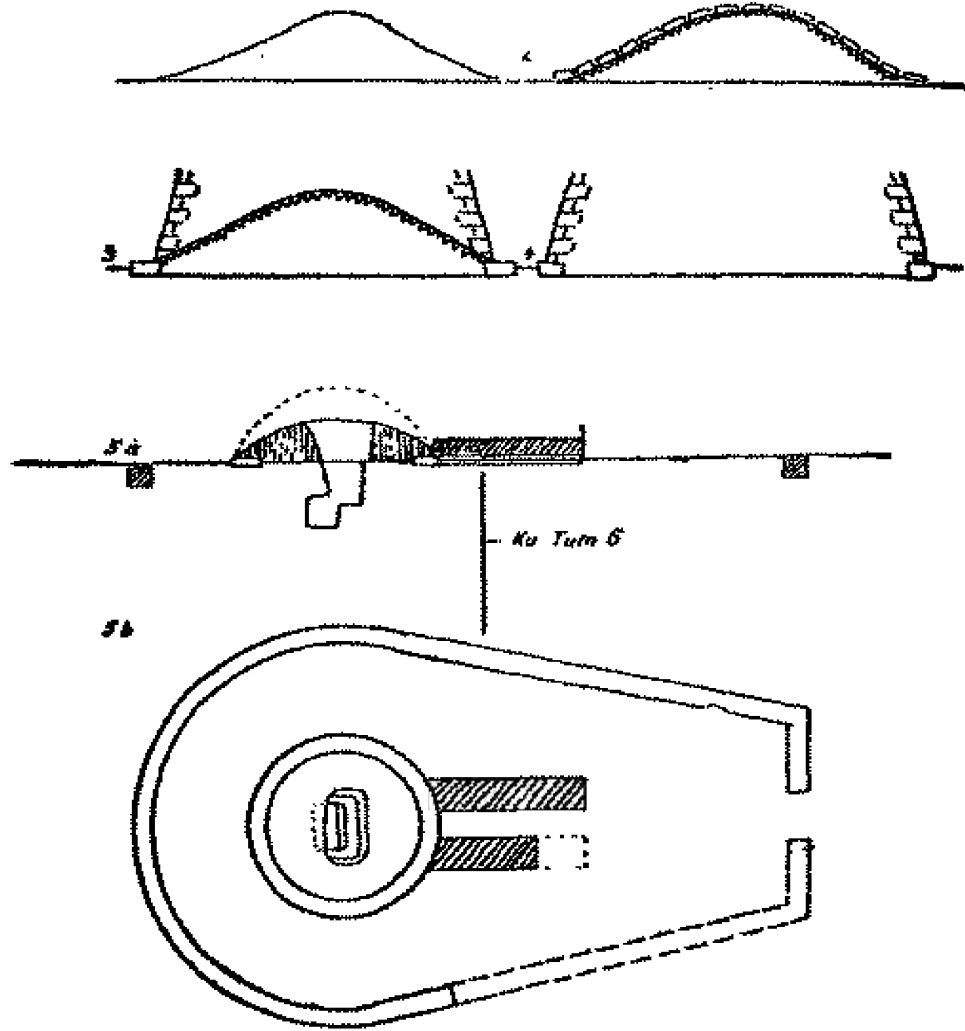
Typical culture-elements	C.Br.	Koma	N.L.	Ku	Ku-Mu	Mersit
Bed-burial 	+	+	+	+	+	+
Animal sacrifices	+	+	+	-	+	+
Human-sacrifices	-	+	-	-	-	+
Earrings 	+	-	-	-	-	-
	-	+	+	+	+	+
	-	-	+	+	+	+

• دراسة مقارنة للعناصر المحلية في حضارات السودان القديم
إهداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر الروي

Types of Burial	C-Gr. 1	C-Gr. 2	C-Gr. 3	C-Gr. 4	C-Gr. 5	Kerna	H.L.	En	En-En 25 Dyn.	Meret
Forms of Superstructure										
	-	-	-	-	-	+	-	+	-	+
	-	-	+	+	+	-	-	-	-	-
	-	-	-	-	-	-	-	+	-	+
	-	-	-	-	-	-	-	+	-	-
	-	-	-	-	-	-	+	-	+	+
Chapel										
	-	-	-	-	+	-	-	+	-	-
	-	-	-	-	-	+	-	-	-	-
	-	-	-	-	-	-	-	+	-	-
	-	-	-	-	-	-	-	+	+	-
	-	-	-	-	-	-	-	-	+	+
Enclosure wall										
	-	-	-	-	-	+	-	-	-	+
	-	-	-	-	-	-	-	+	-	-
	-	-	-	-	-	-	-	+	+	+
Forms of burial chamber										
	-	+	-	-	-	-	-	-	-	-
	-	-	-	-	-	-	-	+	-	+
	-	-	-	+	-	-	-	+	+	-
	-	-	-	-	+	-	-	-	-	+
	-	-	-	-	-	+	-	-	+	+

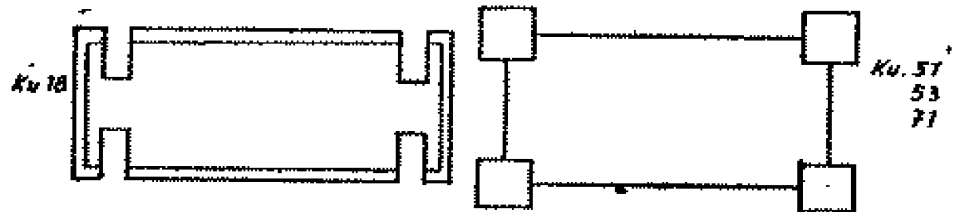
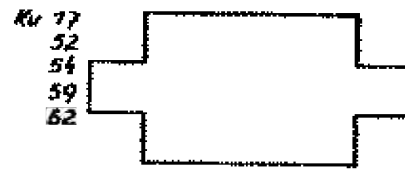
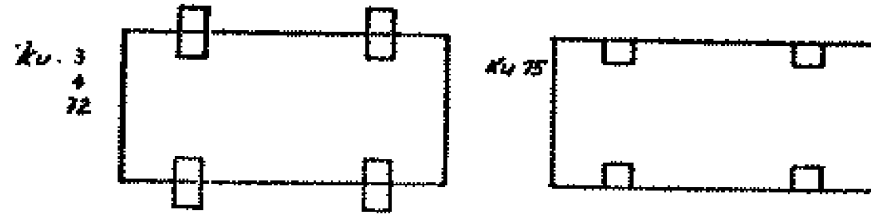
٦ — دراسة مقارنة لأشكال القابر وملحقاتها فوق وتحت سطح الأرض لسائر حضارات السودان القديم ابتداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر الرومي، وتبين مدى القرابة بين تلك الحضارات.

Kurru

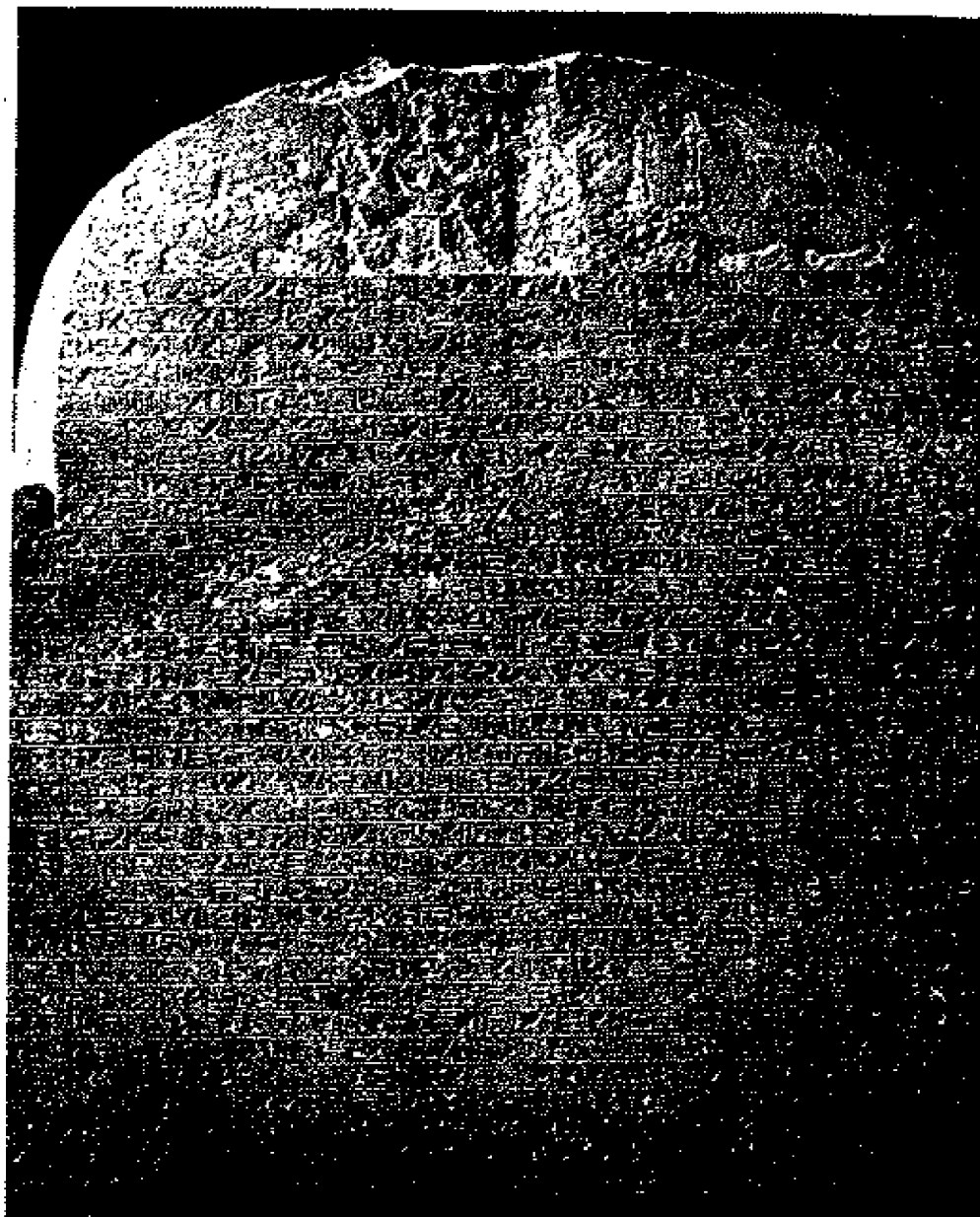


٧ — أقدم مقابر الكرو — الخامة بأسلاف الأسرة الخامة والشميرين
— تطور شكل المقبرة من الكوم المستدير إلى الهرم.

Kurru



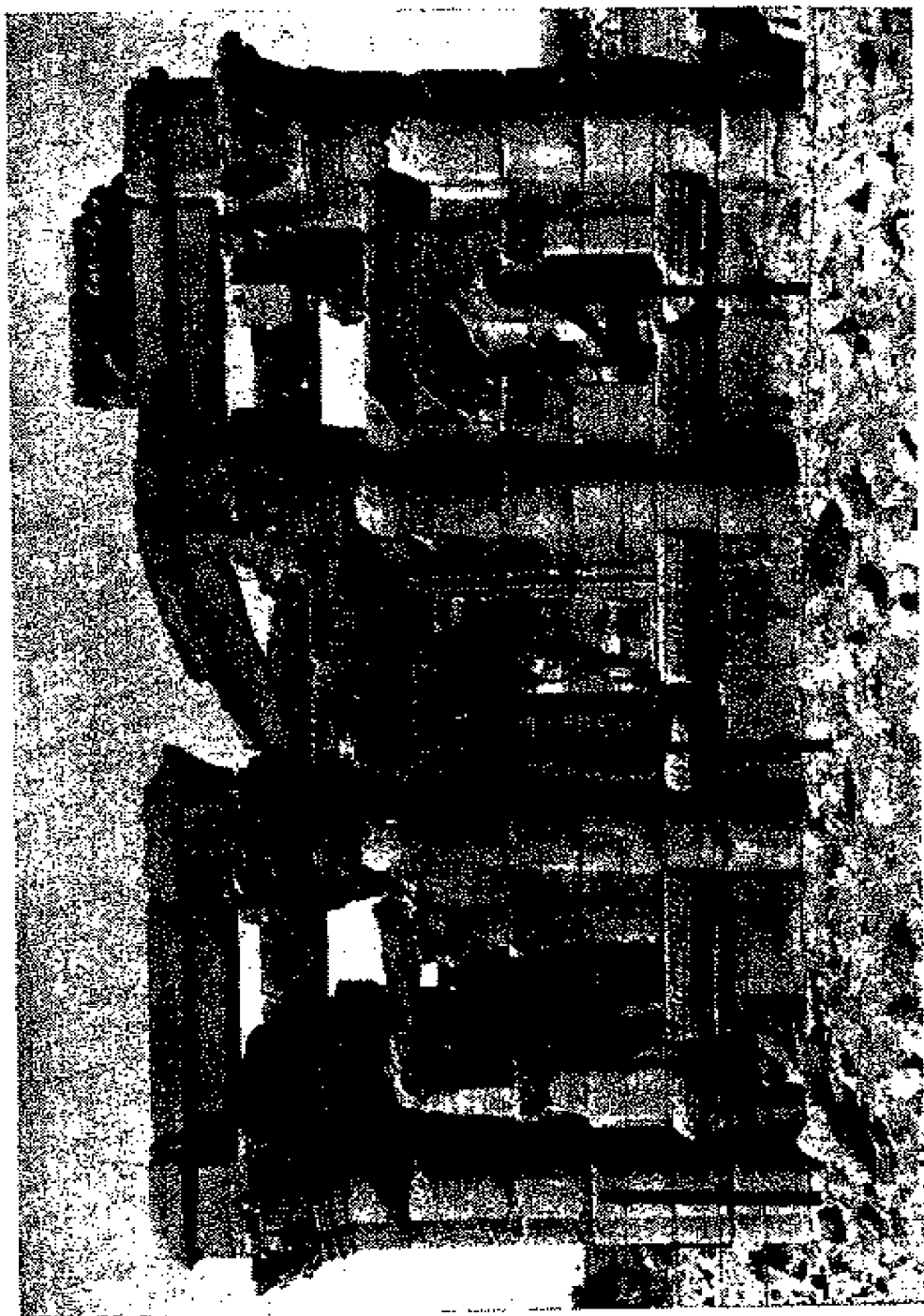
A — المكان المرتفع والمخصص لوضع سرير الدفن في مقابر أفراد الأسرة الخامسة
والعشرين . ويلاحظ الفراغات النصفية لوضع سرير الدفن .



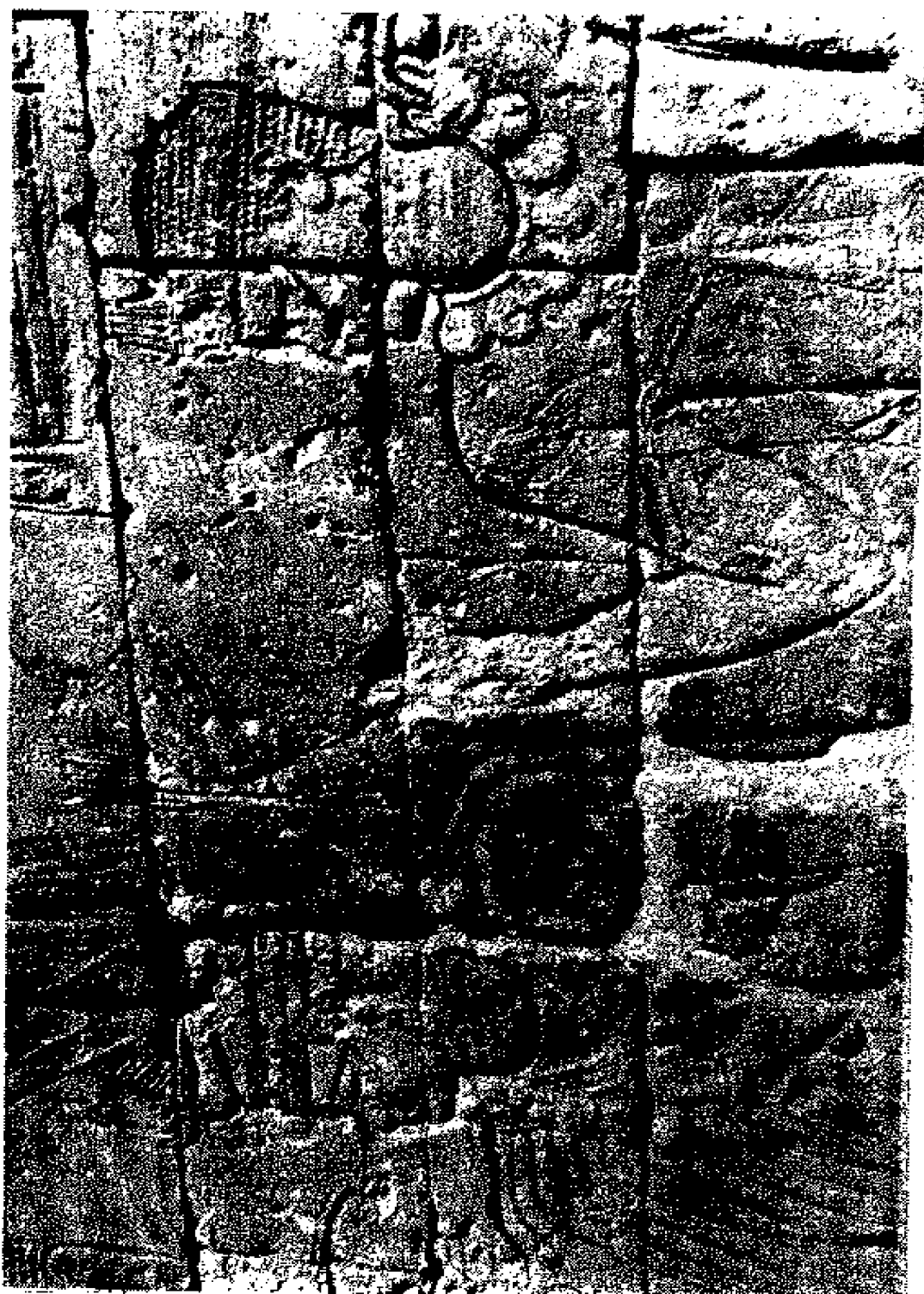
٩ — لوح الملك بمتنفي (المتحف المصري)

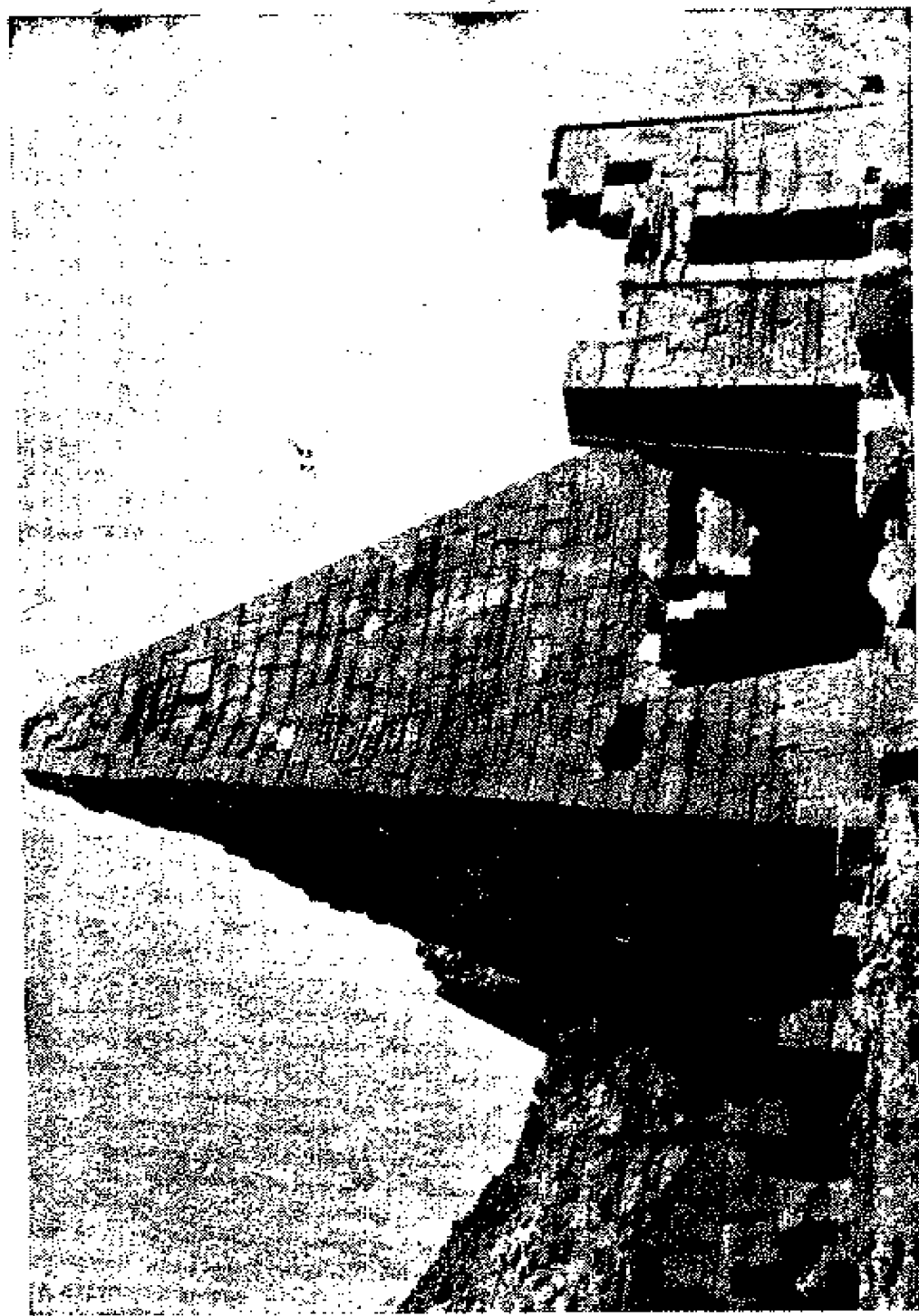


١٠ — معبد الأسد بالقمه
صورة فريدة للمعبود المروي « أيملاك » (الأسد)



١١ - المعبد الصغير - بالاقية





١٣ — أعمدة مرمان مروي (بالجراوية)

محتويات الكتاب

صفحة

٥	تصدير
٧	مقدمة
٩	أوائل الباحثين

الفصل الأول

١٤	العصور الحجرية
----	--------------------------

الفصل الثاني

١٨	المجموعات الحضارية
١٨	— حضارة المجموعة الأولى :
٢١	— حضارة المجموعة الثانية (١) :
٢٥	— حضارة المجموعة الثالثة :
٢٦	— حضارة صكرمة :
٢٩	— إخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة :

الفصل الثالث

٣٣	دولة كوش (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق.م تقريباً)
----	--

الفصل الرابع

٣٩	كوش تستعد لدور قيادي في وادي النيل (١٥٨٠ — ٧٥٠ ق.م)
----	---

صفحة

- أثر الحضارة المصرية : ٣٩
— دور الأمراء المحليين : ٤٨
— نشاط أهل كوش في مصر : ٥٢
— مركز كوش للسياسة : ٥٩

الفصل الخامس

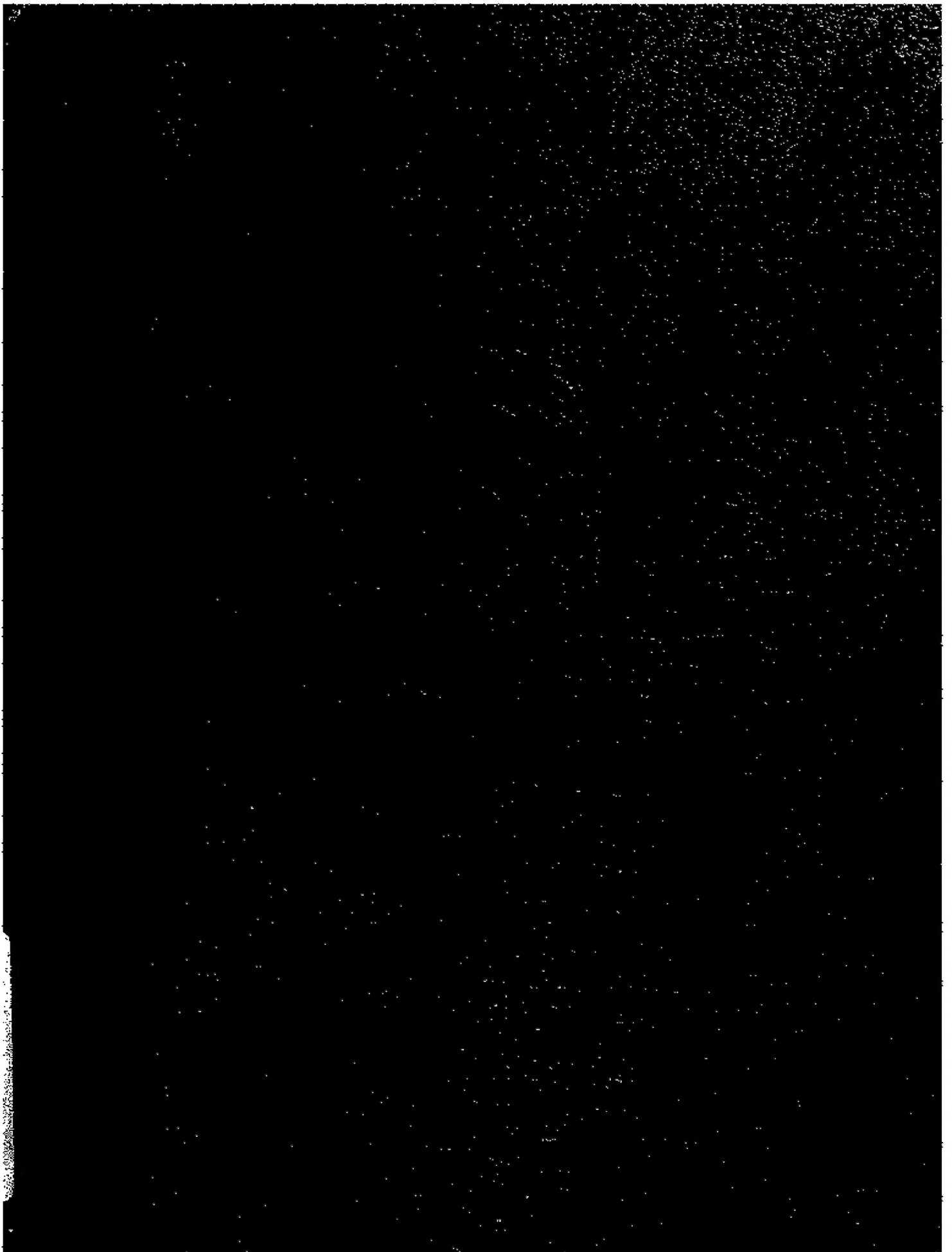
- أصل الأسرة الخامسة والعشرين [مملكة نبتة] ٦٤
اللغة المروية — اللغة المحلية للملك نبتة — ٧٤
خاتمة ٧٧
المراجع ٨٧
اللوحات ٩٩
محتويات الكتاب ١٢٧

أبحاث للمؤلف

1. Untersuchung Zur Herkunft der 25. Dynastie, Berlin 1962.
بحث في أصل الأسرة الخامسة والمصريين (بالألمانية)
2. "Drei Meroitische Opfertafeln aus Qustul" in Kush XII, 1964
« ثلاث موائد مروية من قسطول » ، نشر على بعض النصوص باللغة المروية ، في مجلة آثار السودان Kush XII
3. "The Relationship between the C-Group, Kerma, Napatan and Meroitic Cultures", in Kush XIII 1965.
4. "Meroitische Inschriften aus der Umgebung von Aniba", in Kush XIV, 1966.
= "Meroitic Inscriptions found near by Aniba" with English Summary.
5. "The Influence of the Ancient Egyptian Culture on Africa", International Conference "The Sudan in Africa" Feb. 1968.
6. "Die Muttersprache der Napatansichen Königsfamilie", International Congress of Orientalists at Ann Arbor August 1967 = اللغة المروية لغة ملوك نبتة
7. "Amon, der Herdenatier" (نشر على نصوص ZAS) تحت الطبع
هيروغليفية على أحد التماثيل
8. « العلاقات الحضارية بين السودان ومصر في العالم القديم » تحت الطبع







To: www.al-mostafa.com